الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور- خنشلة-

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

شعبة :اللغة و الأدب العربي

تخصص: آداب أجنبية وأدب مقارن

الثورة الجزائرية في كتابات الأدباء والمثقفين الفرنسيين

"عارنا في الجزائر" لـ جان بول سارتر أنموذجا

بحث مقدم لقسم اللغة و الأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2

إعداد الطالبة:

- حقاص عزيزة

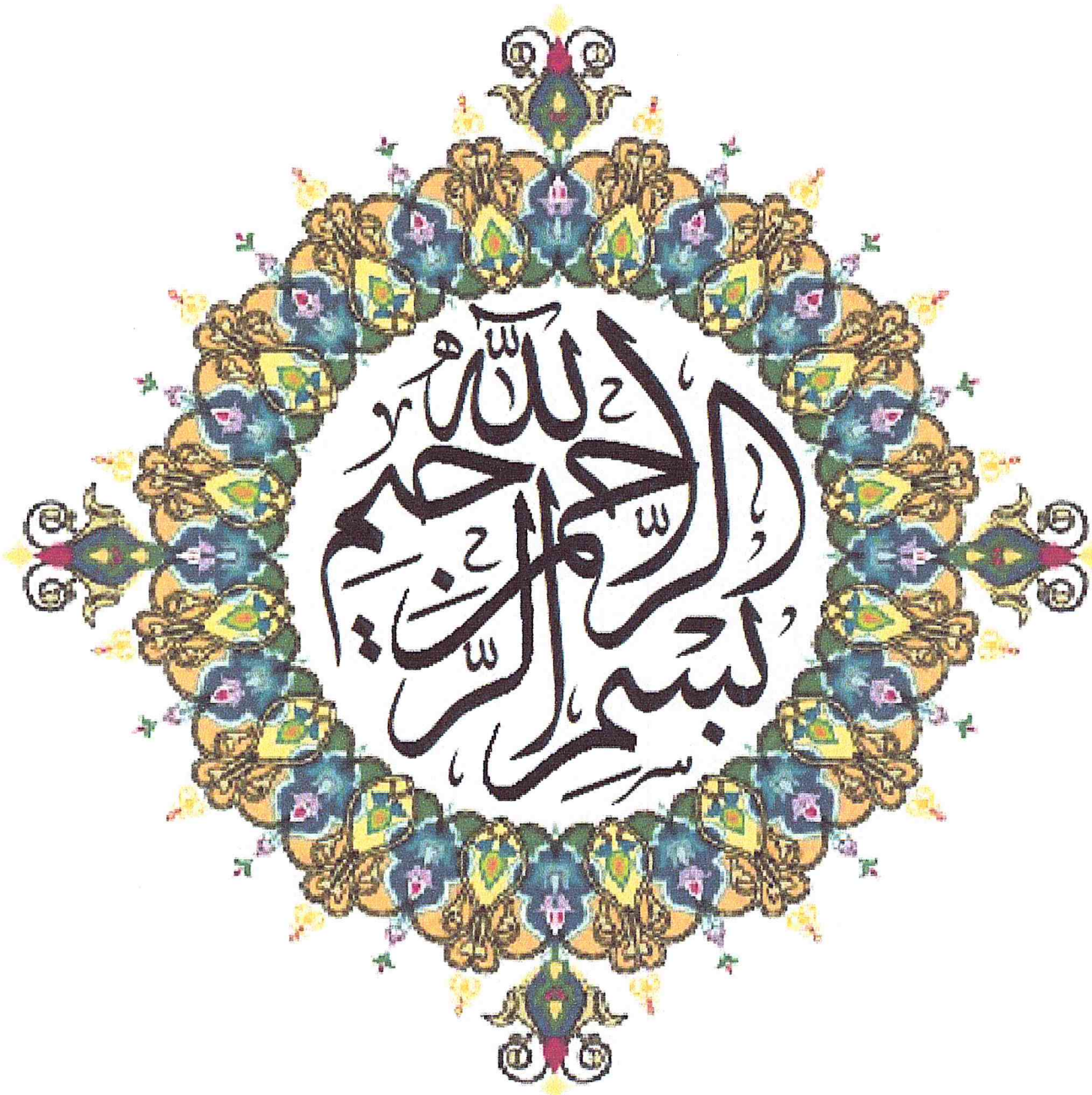
إشراف الأستاذ:

يوسف الأطرش

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
عمرو عيلان	أستاذ التعليم العالي	عباس لغرور- خنشلة-	رئيسا
يوسف الأطرش	أستاذ التعليم العالي	عباس لغرور- خنشلة-	مشرفا و مقررا
سمية بن عباس	أستاذة محاضرة -ب-	عباس لغرور- خنشلة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2013***2014


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــروعـــــرفـــان

يقول الله عزوجل في محكم التنزيل

{ ولئن شكرتم لأزيدنكم }}

{إبراهيم07}

ومن لايشكر الله لايشكر الناس

فالحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات أحمده سبحانه وتعالى وأشكره شكرا كثيرا على أنه أنار دربي وسدد خطاي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع

ثم أشكر الأستاذ المشرف يوسف لطرش

على مساعدته العلمية والتوجيهات والنصائح التي قدمها لي

فقد كان مرشد ا وموجها في تنشئة هذا البحث مقوما لهفواته ومدبرا لأفكاره فشكرا جزيلا

كما أتوجه بخالص شكري إلى كل العاملين والمؤطرين بجامعة عباس لغرور وإلى كل أساتذة قسم الأدب العربي الذين مهدوا لنا سبيل العلم وزرعوا في نفوسنا حب البحث والدأب والسهر على العمل

فشكرا جزيلا .

عـــــزيـــزة

خطة البحث

مقدمة

مـدخـــل:القضيــة الجزائريـــة والأدبـــاء و المثقفيـــن الفرنسيين

1-الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل اندلاع الثورة التحريرية

أ-الأوضاع السياسية

ب/الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

ج/الأوضاع الثقافية

2/اندلاع الثورة التحريرية

3/موقف الأدباء والمثقفين الفرنسيين من الثورة التحريرية

الفصـل الأول:جـان بـول سـارتـر و المـوجـوديـــة

1/جان بول سارتر

2/مفهوم الوجودية

3/اتجاهات الوجودية

4/مبادئ الوجودية

5/خصائص الوجودية

أ-أسبقية الوجود على الماهية

ب-الحرية والاختيار

ج-القلق

د-الالتزام

هـ-العبث

6/الأدب الوجودي

الفصـل الثـاني:دراسة تحليلية لكتاب عارنا في الجزائر

1/الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي

2/شهود من المجدين

3/الجلادون

خاتمة

قائمة المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات

مقدمة

مقـدمــة

شهد الإنسان في الجزائر خلال التواجد الاستعماري ممارسات لا إنسانية ووحشية من هتك للأعراض وسلب للأراضي وتهجير وتفقير، وإبعاد وتشريد وتجويع ونفي وتعذيب وتنكيل وتقتيل، وكان المجتمع الجزائري في ذلك العهد الاستعماري يحمل بداخله بذور المقاومة والصمود إلى أخر قطرة من دمه لكي يحقق الانتصار ويجلب الحرية.

فهي الغريزة التي تحدد شخصيته بوصفه كائنا اجتماعيا، وهي العامل الأساسي الذي يدفع به إلى التحرر من الأغلال الكولونيالية التي تكبله وتأسره، لأجل ذلك أعلن التمرد على أعداء الإنسانية وفجر الثورة التحريرية فاندفعت كالمارد ينطلق من عقاله مؤكدة للاستعمار انجلاء ليله *الدامس*، وبزوغ فجر شمس الحرية على سماء الأرض الآبية واستطاعت بفضل عظمتها وجلالها وقوة سواعد رجالها أن تكون محل إعجاب من قبل أولئك الرافضين للذل والاستعباد، العاشقين للإنعتاق والحرية الذين يقدمون من أجلها النفس والنفيس. كيف لا وقد حطمت أمال الفرنسيين و أنصار الجزائر الفرنسية، ووقفت في وجه القوات العسكرية المجهزة بأحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا وشجعت الحركات التحررية، وساندت ودعمت كل من يناشد ويتغنى و يطالب بالحرية، محققة بذلك انتصارا للبرية كلفها مليونا ونصف ضحية لتحرير الجزائر العربية الإسلامية .

وهذه الدراسة المتواضعة التي أقوم بها تهتم بالأعمال البربرية والجرائم الوحشية التي قام بها مرتزقة فرنسا الاستعمارية في حق أبناء الأمة الجزائرية، وموقف النخبة الفرنسية من الأفعال الرزية لأبناء الكولونيالية باسم الحضارة الأوروبية .

فحقيقة أن هذه الأعمال الفاشية قد أسالت الكثير من الحبر وأثرت في العديد من كتّاب وأدباء الدول الغربيّة الذين تعاطفوا مع القضية الجزائرية، فالأديب هو ضمير الأمة وقلبها النابض، ولسان حالها الذي يعبر عن أفراحها ويساندها في أحزانها وأقراحها. والسؤال المطروح: كيف نظر الأدباء و النخبة الفرنسية المثقفة للثورة الجزائرية؟ وهل كانت مواقفهم

نابعة من مبادئهم وأفكارهم الفلسفية، أم هي من المسؤولية الاجتماعية والتاريخية تجاه الشعب الجزائري؟

وسأعمد في هذه المعالجة البسيطة إلى دراسة أفكار ومواقف المثقفين الفرنسيين الذين شاركوا في الثورة التحريرية ودعموها بكتاباتهم السياسية، مركزة على فلسفة وموقف **جان بول سارتر** في كتابه"**عارنا في الجزائر**" أكثر من المثقفين الآخرين، لأنه موضوع الدراسة، وكونه الفيلسوف الوحيد الذي ساند كفاح الشعب الجزائري ووظف أدبه وفلسفته في تحرير الإنسانية من القيود الاستعمارية، معرضا بذلك حياته لعدة محاولات اغتيال إجرامية.

وهدفي من هذه الدراسة هو أن أوضح حقيقة المثقفين الذين يؤمنون بفلسفتهم ومبادئهم ويدافعون عنها، ويحاولون تجسيدها على أرض الواقع منذ الحرب العالمية الثانية حتى الثورة الجزائرية.

ولبلوغ غايتي قسمت هذا البحث الوجيز إلى مقدمة وخاتمة يتوسطهما مدخل وفصلان، فتناولت في المدخل الأوضاع السائدة في الجزائر عشية اندلاع الثورة التحريرية، ثم اندلاع ثورة نوفمبر المجيدة وبعدها موقف الأدباء والمثقفين الفرنسيين من هذه الثورة، وتطرقت في الفصل الأول إلى نبذة عن حياة جان بول سارتر، ومفهوم الوجودية واتجاهاتها ثم مبادئ الوجودية وخصائصها، وأخيرا الأدب الوجودي .

وكان الفصل الثاني دراسة تحليلية لكتاب **جان بول سارتر "عارنا في الجزائر"** ولدراسة هذا الموضوع كان لزاما عليّ أن أتبع المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لذلك ومما لاشك فيه أن مثل هذه البحوث ليست وليدة العدم، لابد أن تكون أرضيتها خصبة لذا استقيت معلومات هذا العمل من عدة مصادر ومراجع تتمثل في المصدر الأول :"**عارنا في الجزائر**" **لجان بول سارتر**، و"**النخبة الفرنسية المثقفة**" **لعمراني عبد المجيد** و"**التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962**" **لعمار بوحوش**، و"**الوجودية**" **لجون ماكوري**. وغيرها من المراجع التي أعانتني في إعداد هذه المذكرة .

وكأي بحث فإن هذه الرحلة البسيطة التي قمت بها لاتكاد تخلو من بعض المتاعب والمصاعب، المتمثلة في ضيق الوقت وقلة المصادر والمراجع، وقد استطعت التغلب على هذه المشاكل بفضل الله عز وجل أولا، ثم بفضل الأستاذ المشرف الذي كان موجها ومرشدا في تنشئة هذا البحث، لذلك أتوجه إليه بالشكر الجزيل وأسأل الله العلي القدير بأن يجزيه عني خير الجزاء ويوفقني وإياه لخير ما يحبه ويرضاه .

والله ولي التوفيق .

مدخل

1-الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل اندلاع الثورة التحريرية

تحتل الجزائر موقعا استراتجيا متميزا يتمثل في إطلالها على القارات الثلاث: إفريقيا، أسيا، أروبا إضافة إلى إشرافها على أهم مسطح مائي يتوسط العالم وهو البحر الأبيض المتوسط ، ولعل هذا ما جعلها مقصدا لكل عين طامعة، ولكل يد ترغب في امتلاك ماليس لها.

وقد عرفت الجزائر قبل الغزو الفرنسي تطورا كبيرا شمل جميع المجالات، حيث تميزت بزراعة مزدهرة وإنتاج صناعي متنوع، ونشاط في التجارة البرية و البحرية، فكانت تقوم بتموين العديد من البلدان بالحبوب و المنتجات الأخرى،لاسيما الدول الأوربية التي شهدت أزمات اقتصادية حادة مثل فرنسا.[1]

فإذا كان هذا حال الجزائر قبل الاحتلال، فكيف أصبحت أوضاعها في ظل التواجد الاستعماري ؟وما مدى مساهمة السلطات الفرنسية في تغير تلك الأوضاع؟

أ-الأوضاع السياسية:

حاول المستوطنون منذ الاحتلال منع الجزائريين من أي تمثيل سياسي سواء في المجالس المحلية أوفي البرلمان الفرنسي، كون هؤلاء الأوروبيين يرون بأنهم لايستطيعون ضبط الجزائريين إلاّ إذا تحققت لهم السيطرة السياسية على شؤونهم..

ولمعرفة الحالة السياسية للمواطن الجزائري قبيل إندلاع الثورة التحريرية، يتحتم عليّ كوني باحثة أن أشير إلى حوادث الثامن ماي"1945"والتي شملت كل من سطيف، قالمة، خراطة وباقي ولايات الوطن الحبيب.

فهذه المجازر تمثل منعطفا حاسما في المسيرة السياسية، أين تأكد الجزائريون أن فرنسا المغامرة لن تمنحهم أية حقوق رغم التضحيات الجسام التي قدموها إلى جانبها في حربها ضد الألمان، ما أدى إلى بروز ثلاث اتجاهات سياسية كامتداد للحركات الوطنية القديمة

1: طلاس، مصطفى.وبسام، لعسيلي.الثورة الجزائرية.ط1،دار الشورى،بيروت-لبنان،1982،ص:48

على الساحة الجزائرية، وإن كانت هذه الاتجاهات تختلف في الوسائل، لكنها تتفق في الأهداف وهدفها الأسمى والوحيد هو القضاء على الاستعمار الفرنسي واستقلال الجزائر.

ومن بين هذه الاتجاهات:

أولا-الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري U.D.M.A: الذي أسسه "**فرحات عباس**"[1] بعد تصدع حركة أحباب البيان، والعامل أساسا على مواجهة المستوطنين من جهة، والمنادي بالحكم الذاتي للجزائر في إطار النظام الفرنسي من جهة أخرى.

ففي سنة "1946" أعلن فرحات عباس في خطاب له عن سياسته الجديدة ، والمتمثلة في الشعارات التالية:لاللإندماج،لاللأسياد الجدد، لاللإنفصال، نعم لشعب فتي مرتبط مع أمة ليبرالية كبيرة ، نعم لديمقراطية جديدة.[2]

وعندما أبان عباس عن نيته بعدم الانفصال عن فرنسا، وافقت له هذه الأخيرة على المشاركة في الانتخابات لتأسيس البرلمان الفرنسي الجديد، الذي يسمح للجزائريين بأن يصوتوا على خمسة عشرة نائبا لتمثيلهم فيه وستة نواب في مجلس الشيوخ، فتحصل فرحات عباس على نسبة 72% من أصوات الناخبين الجزائريين وذلك بصفته صاحب الحزب الكبير المعترف به.[3] وفي أوت"1946"قدم صاحب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري برنامجا جديدا ضم عدة إصلاحات سياسية تمثلت في النقاط التالية:

*جمهورية ذات استقلال ذاتي تتمتع بالسيادة ولها علمها الخاص.

1: **عباس فرحات (1899 م- 1985 م)**: ولد بجيجل من أسرة موالية لفرنسا، تحصل على شهادة البكالوريا بقسنطينة فالتحق بالخدمة العسكرية بين 1921-1923، تابع دارسته الجامعية تخصص صيدلة بالعاصمة، دخل المعترك السياسي ضمن فدرالية النواب التي تأسست سنة 1927 وكان من أكبر دعاة المساواة والإدماج، أسس في مارس 1944 جمعية أحباب البيان والحرية التي ضمت مختلف التيارات، ألقت عليه سلطات الاحتلال القبض يوم 31 ماي 1945 بتهمة تنظيم مظاهرات 8 ماي،وفي جوان1955 كان أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة، له العديد من الكتب التاريخية والمقالات التي تتناول التاريخ السياسي والعسكري للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي.

2:حسينة ،حماميد.المستوطنون الأروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962.ط1،منشورات الحبر،الجزائر،2007م،ص:50

3: المرجع السابق.ص:50

*دولة منضمة إلى اتحاد فرنسا تكون فيها العلاقات الخارجية والدفاع الوطني مشتركة مع فرنسا .

*برلمان يتم انتخاب أعضاءه في اقتراع سري من طرف جميع الجزائريين.

*حكومة تتكون من رئيس جمهورية يتم اختياره بطريقة مباشرة. [1]

لكن هذا البرنامج لم يؤخذ بعين الاعتبار في البرلمان الفرنسي، واعتبره الأوربيون مشروعا جريئا ووقحا،لأنه يضمن استقلال الجزائر، ماجعل صاحب شعار الثورة بالقانون ورفقاؤه يشعرون بخيبة أمل كبيرة.

وأمام الفضائح المتتالية في الانتخابات الجزائرية، ونزولا عند رغبة المستوطنين بإقالة حكومة باريس للحاكم العام **شاطينيو**، وتعيين مكانه **إدموند نيجلان**[2] الذي سيعمل على حرمان الجزائريين من أية حقوق سياسية، تقلص ظهور **فرحات عباس** على مسرح الساحة السياسية، واكتفى بالعمل داخل جريدته **المساواة** "lègalitè"،أين كان يندد بالظلم الاستعماري، ويحرض الشعب الجزائري للدفاع عن مطامحه وحقوقه المشروعة إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الكبرى التي قلبت الموازين، وتأكد **فرحات عباس** من خلالها أن الكفاح المسلح وحده الكفيل بانتزاع الحرية، فقام بحل حزبه ثم التحق بصفوف جيش التحرير الوطني أين سيعين فيما بعد أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة.

ثانيا-جمعية العلماء المسلمين: فبالرغم من اقتصار نشاطها على التربية والتعليم والتوعية، وعدم تحديد موقفها السياسي أو الترشح للانتخابات المحلية، فقد كانت لها كلمتها ووزنها وسط الساحة الجزائرية، كونها تخاطب روح الأمة وتضم كبار الشخصيات ذات الاتجاه الإسلامي، فإذا كان "**عبد الحميد بن باديس**" مفكرا إسلاميا، فإن **الشيخ** "**البشير الإبراهيمي**" كان مفكرا ثقافيا واجتماعيا، وإذا كان **الشيخ** "**مبارك الميلي**" مؤرخا مرموقا، فإن "**توفيق المدني**"كان صحفيا وسياسيا بارعا.[3]

1:عمار،بوحوش.التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962.ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت،1997م،ص:241

2: ينظر: حسينة، حماميد.المستوطنون الأروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962.ص:51

3:عمار، بوحوش.التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962.ص:250

ومن خلال العمل المشترك لهذه الكوكبة استطاعت جمعية العلماء أن تقتحم ميدان حرب محفوف بالمزالق والأخطار، فحاربت في أول الأمر أنصار وأوتاد الاستعمار من بني جلدتها، ثم قاومت البدع والضلالات الدينية التي استغلها الغزاة في محق جنسية الأمة ومحاولة ابتلاعها، حتى تمكنت من تطهير الدين والحفاظ على مكونات الشخصية الوطنية المتمثلة في: الإسلام ،اللغة ،التاريخ وذلك عن طريق تشييد مدارس حرة، ففي سنة"1936" تمكنت الجمعية من تأسيس مائة وستة وثلاثين مدرسة حرة في الجزائر[1] تكفلت بالشباب الجزائريين الذين لم تستوعبهم المدارس الفرنسية، ووفرت لهم التعليم باللغة العربية، كما قامت بجمع المال لتوظيف الأساتذة المؤطرين لهذه العملية التعليمية، وإلى جانب ذلك أوفدت عدة بعثات علمية إلى كل من تونس والمشرق العربي ساهمت كثيرا في إعداد الشعب الجزائري روحيا وثقافيا لثورته المجيدة .

وبعدما وضعت الحرب الكولونيالية الثانية أوزارها قررت جمعية العلماء المسلمين توسيع نشاطاتها السياسية والثقافية إلى بقية دول المغرب العربي، وذلك بقصد توحيد العمل على مستوى أقطار المغرب العربي.[2]

وأثناء وقوع أحداث الثامن ماي الدامية بادرت السلطات الاستعمارية إلى اعتقال **الشيخ البشير الإبراهيمي**[3] واتهامه بالمساهمة في الانتفاضة، لكنه أفرج عنه عقب صدور قانون العفو العام.

وإضافة إلى ذالك شاركت جمعية العلماء المسلمين في أكثر الأعمال السياسية كصراعها الخفي والعلني مع أعداء الحضارة فيما يتعلق بتحرير الدين الإسلامي من سيطرة

1: المرجع السابق.ص:252

2: حسينة،حماميد.المستوطنون الأروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962.ص:52

3: **محمد البشير الإبراهيمي (1889 م- 1965 م)**: من كبار العلماء المصلحين في الجزائر، ولد بسطيف من أسرة مثقفة، حفظ القرآن في سن مبكرة ودرس اللغة العربية وأصول الدين في العشرينات، نسّق جهوده مع الشيخ عبد الحميد بن باديس فأثمر ذلك بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي سيكون نائب رئيس لها ثم رئيسا لها في ديسمبر1942، شارك عقب المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936 وأثناء الح ع II نفي من قبل السلطات الفرنسية إلى مدينة أفلو (جنوب غرب الجزائر)، سجن عقب مجازر 8ماي 1945 وأطلق سراحه سنة 1946، بعد الاستقلال عارض التوجه الاشتراكي الذي تبناه نظام الحكم فأودع في السجن ولم يطل به المقام طويلا حيث توفي يوم 22 ماي 1965.

الدولة الفرنسية، وتركه لأهله طبقا لمبدأ فصل الدين عن الدولة الذي طبق على باقي الأديان غير الإسلام، وتحرير القضاء الإسلامي وحرية الصحافة العربية وكذا التعليم العربي، كما ساهمت في إلغاء بعض القوانين والقرارات الجائرة.[1]

وإن لم تشارك هذه الحركة الوطنية فعليا في الإعداد للثورة، إلا أن بعض قادتها كانوا على دراية بأنها ستقع وكانوا على استعداد تام لتأييدها، إذ بعث الأمين العام – **توفيق المدني** – برسالة إلى **البشير الإبراهيمي** المتواجد بالقاهرة، وأبلغه بأن الثورة قد انطلقت وأسندت قيادتها لجبهة التحرير الوطنية، وطلب منه كتابة منشورا عاما يبارك فيه الثورة ويمجدها ويدعو الأمة للمشاركة فيها، وبالفعل لقد استجاب رئيس الجمعية لهذا النداء وقام رفقة **الفضيل الورتلاني** بإصدار بيان للشعب الجزائري حثه فيه على المشاركة في الجهاد من أجل تحرير البلاد من الهيمنة الاستعمارية.[2]

ثالثا–حركة **انتصار الحريات الديمقراطية**: ظهرت كستار أو واجهة استعملها حزب الشعب الجزائري لتقديم مرشحيه إلى الانتخابات التشريعية الفرنسية، بعدما منع هو رسميا من النشاط السياسي بسبب مذابح الثامن ماي،بيد أن المشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية كانت تجربة فاشلة، فالإدارة في الجزائر ماهي إلا لعبة في يد المستوطنين الأوروبيين، لأن الانتخابات قد زوّرت كعادتها على يد **الحاكم الجديد نجيلان** ولم تحصل الأحزاب الوطنية إلا على 17 مقعدا، بينما استأثر عملاء فرنسا ببقية المقاعد الأخرى.[3]

1: محمد الصالح، الصديق.الجزائر بلد التحدي والصمود.ط1،موفم للنشر،الجزائر،2007،ص:103

2:عمار، بوحوش.التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962.ص275

3:ينظر: حسينة ،حاميد.المستوطنون الأروبيون والثورة الجزائرية 1954–1962.ص:55

ونتيجة لذلك حدث انشقاق داخل الحزب كاد يؤدي إلى انهياره لولا تدارك "**مصالي الحاج**"[1] للوضع، ودعوته إلى عقد مؤتمر وطني للحركة حتى يخرج منه بموقف موحد،لكن النتيجة كانت شيئا أخر، حيث ظهرت في الأفق ثلاث تيارات قوية داخل الحركة ولم يتمكن **مصالي** من تحقيق هدفه الرامي إلى إنشاء حزب موحد، يشتغل في إطار الشرعية القانونية فقط، واتفق المؤتمرون على إنشاء حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية لكي يشتغل بطريقة قانونية، ويشارك في الانتخابات ويتزعمه **مصالي الحاج** والإبقاء على التيار المحافظ؛ أي تيار حزب الشعب الجزائري الذي يرفض الانتخابات ويرى بأنها انحراف عن مبادئ الحزب، ولابد من مواصلة النضال السري للمحافظة على وجود الحزب وشعبيته.[2]

أما التيار الثالث الذي برز بقوة فهو الجناح المؤيد للعمل العسكري تحت اسم "**المنظمة الخاصة**" بقيادة **محمد بلوزداد**، إذ أن أصحاب هذا الاتجاه ينبذون فكرة المشاركة في الانتخابات ولعبة الديمقراطية ويشجعون على الكفاح المسلح والعمل الثوري.

ولقد استطاعت المنظمة أن تنطلق انطلاقة قوية، إذ بدأ زعيمها **محمد بلوزداد** يعمل لإقامة هياكل المنظمة بمساندة **الأمين دباغين**[3] بسرعة فائقة، وبلغ عدد المناضلين خمسمائة وألف

1: **أحمد مصالي الحاج(1898 م- 1974 م)**: زعيم الحركة الوطنية وسياسي جزائري بارع تميز بالذكاء والعصامية، ولد بمغنية من أسرة فقيرة، اضطر إلى مغادرة المدرسة الابتدائية في وقت مبكر، كما اضطرته ظروف الحياة الصعبة أيضا إلى الهجرة لفرنسا، وهناك ظل يبحث عن ذاته حيث مارس العديد من الوظائف والنشاطات، فهو مرة من هواة فن المسرح متذوقا للثقافة الفرنسية وقارئا ومستمعا واعيا لاسيما للمحاضرات التي كانت تلقى في جامعة بوردو، ومرة أخرى تاجرا أو صانعا، وسيجد نفسه أخيرا ضمن تنظيم نجم شمال إفريقيا كقائد محّنك وخطيب بارع(1926-1937) ،ثم في حزب الشعب (1937-1946) وفي حركة انتصار الحريات الديمقراطية (1946 - 1954)، وأخيرا الحركة الوطنية الجزائرية (1954 -1958).

2:المرجع السابق.ص:55

3: **محمد الأمين دبّاغين (1917- 2003 م)**: طبيب وسياسي جزائري، ولد بالجزائر زاول دراسته في مدينة شرشال وتحصل على شهادة البكالوريا، ومنها التحق بمعهد الطب وهو لا يزال طالبا، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1939 ، واصل نشاطه السياسي مع حركة انتصار الحريات الديمقراطية،وعيّن أمينا عاما لها 1946- 1951 ،وقع بينه وبين مصالي الحاج خلاف حاد سنة ،1949 التحق بعد ذلك بصفوف جبهة التحرير الوطني وعيّن وزيرا للشؤون الخارجية في جمعية العلماء المسلمين، بعد الاستقلال تفرغ لمهمته الأولى وعمل طبيبا بمدينة العلمة ولاية سطيف إلى أن وافته المنية.

في التدريبات، لكن سرعان ماتنبهت السلطات الفرنسية لهذه المنظمة ولم تدخر أي جهد لاضطهاد مناضليها وإلقاء القبض عليهم، وهروب بعضهم إلى الجبال واعتصامهم بها.

وفي المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي انعقد بالجزائر، برزت قوة المنظمة الخاصة التي تقرر إحياءها من جديد بطلب من أحد أعضاء الجناح العسكري، وشارك فيها كل من "**مصالي الحاج**" و"**مصطفى بن بولعيد**".[1]

ولقد كان للخلاف الذي نشب بين الزعيم مصالي الحاج وأعضاء اللجنة المركزية بسبب اعتراضهم على منحه صلاحيات خاصة، أثر إيجابي على مناضلي المنظمة السرية حيث أسسوا حركة ثورية جديدة أطلق عليها "**اللجنة الثورية للوحدة والعمل**"، وعقب ذلك اجتماع الاثنين والعشرين الذي ضم اثنان وعشرين مناضلا من أعضاء المنظمة الخاصة أين انبثقت لجنة الستة التي أخذت على عاتقها لواء الجهاد وتحرير البلاد.[2]

وقد عقد القادة الستة سلسلة من الاجتماعات، وقاموا بمناقشة الترتيبات الأساسية للثورة، واتفقوا على تسمية المنظمة السياسية **بجبهة التحرير الوطنية**، والمنظمة العسكرية **بجيش التحرير الوطني**. وبهذه الأعمال انطلقت الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر أربعة وخمسين تسعمائة وألف"1954" للتخلص من الاستعمار وهذا ما سنعرفه بالتفصيل في العنصر الموالي .

ب/الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية:

كان المجتمع الجزائري قبل الحملة العسكرية على غرار المجتمعات العربية آنذاك قائما على نظام القبيلة والعشيرة غير أن هذا الوضع لم يعمر طويلا، فسرعان ما استطاع الاستعمار الفرنسي أن يقضي على البنية الاجتماعية المتماسكة الأواصر لهذا المجتمع، عبر تقسيمه إلى فئات اجتماعية على أساس عرقي، وخلق عداوة بين كل فئة وأخرى مستغلا في ذلك وجود فئتين رئيستين في الجزائر هما العرب والبربر، فسعى إلى نشر نار الفتنة

1: حسينة ،حماميد.المستوطنون الأروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962.ص:57

2:صالح، فركوس.المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين814ق.م-1962م.ط1، دار العلوم للنشر و التوزيع،2002،ص:243

بينهما وادعى أن البربر أفضل من العرب كونهم ينحدرون من أصل أروبي، أما العرب فهم كسالى وأغبياء و يفتقرون إلى المشاعر الإنسانية.[1]

ولم تكتف الإدارة الاستعمارية بذلك بل اتبعت عدة أساليب جهنمية للقضاء نهائيا على وجود وكيان الجزائريين، من خلال انتهاجها لسياسة استيطانية تدميرية قائمة أساسا على السلب و النهب و مصادرة الأراضي الفلاحية.

فبعد ثورة 1871م تمت مصادرة 875ألف هكتار من الأراضي الزراعية في منطقة القبائل، الأمر الذي أدى إلى التخلي عن الأعراف السائدة، حيث اختفت ظاهرة الوحدة القبلية التي تدعمها الأرض وانقسام العائلات الكبرى وظهور البروليتارية[2]الريفية[3]،وفي سنة 1954 بلغت جل المساحة الزراعية المغتصبة من الفلاحين الجزائريين 15مليون هكتار تقريبا[4]،وكانت معظم هذه الأراضي قبل الاحتلال ملكا مشاعا للأعراش، التي كانت تستثمرها جماعيا في تحقيق الاكتفاء الغذائي الذاتي، وتصدير الفائض من الإنتاج إلى الخارج وأوروبا على وجه الخصوص، ثم جاءت قرارات القادة العسكريين الفرنسيين الرامية إلى اغتصاب تلك الأراضي وتسليمها مجانا إلى المعمرين الأروبين بسبب مشاركة أصحابها في الانتفاضات الشعبية.[5]

وبفضل عمليات الاغتصاب تلك تحول الفلاحون الجزائريون من ملاك للأراضي، إلى مجرد خماسين أو أجراء موسمين في حقولهم مقابل أجور زهيدة جدا لاتكاد تغطي احتياجاتهم الخاصة لسد رمق أسرهم، وكان المستوطنون يعتمدون عليهم كثيرا كونهم يدا عاملة رخيصة ذات مردود مرتفع.

1:ينظر: يوسف، الأطرش.المنظور الروائي عند محمد ديب.ط1،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،2004،ص:17

2:**البروليتاريا** من اللاتينية" ***proletarius***"هو مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب "**بيان الحزب الشيوعي" لكارل ماركس وفريدريك أنجلز**، يشير فيه إلى الطبقة التي ستتولد بعد تحول اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي إلى اقتصاد احتكاري، ويقصد كارل ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري، ويرى أن هذه الطبقة هي التي ستحرر المجتمع وتبني الاشتراكية بشكل أممي.

3:المرجع نفسه.ص:17

4: البخاري،حمانة.فلسفة الثورة الجزائرية.ط1،دار الغرب للنشر والتوزيع،الجزائر،2010،ص:83

5: ينظر:محمد العربي،الزبيري.تاريخ الجزائر المعاصر. ط1،ج1،سحب الطباعة الشعبية للجيش،2007،ص:17

فلقد قدر البعض المقابل المادي الذي يتقاضاه العامل الجزائري كأجر مابين نصف فرنك فرنسي وفرنك ونصف بالنسبة لعمل يستغرق أكثر من ثلاثة عشرة ساعة في اليوم الواحد، مع الأخذ بعين الاعتبار صعوبة هذا العمل الشاق[1].

وعلى هذا الأساس أصبحت الفلاحة الجزائرية في وضع مزر بالنسبة لما كانت عليه قبل الاحتلال،إذ واجهت ضربة قاسية مازالت بصماتها واضحة المعالم عليها، تمثلت في تخصيص حوالي نصف مليون هكتار من أحسن الأراضي، لغراسة عنب النبيذ بصورة خاصة، وما يفوقها لزراعة الحوامض وأهملت زراعة القمح وسائر أنواع الحبوب الغذائية حيث تم القضاء في نواحي معسكر على زراعة الأرز حتى يفسح المجال لزراعة الكروم والحوامض.[2]

وإذا أضفنا إلى كل ذلك الضرائب المسلطة على المزارعين الجزائريين دون غيرهم، وأعمال المصادرة لممتلكاتهم، وانعدام الأدوات الفلاحية الحديثة سهل علينا فهم الأسباب المؤدية إلى تفاقم البطالة في الأوساط الجزائرية، لدرجة أن المواطن الجزائري الذي يعمل هو بالتأكيد صاحب امتيازات خاصة أو هو من المحظوظين.

ففي الدراسات العشرية للتنمية الاقتصادية في الجزائر التي نشرها وزير الجزائر سنة 1954قدرت المدة السنوية التي يعمل خلالها الفلاح باثني وتسعين يوما، إضافة إلى الدخل الفردي الذي لايزيد على 2500ألف فرنك فرنسي سنويا، وهناك حوالي مليون عاطل عن العمل من بينهم 800،000 يسكنون الأرياف و100،0000مكدسين حول المدن في الأحياء القصديرية،أين تحولوا داخلها إلى فريسة للفقر والأوبئة والبطالة، والضياع النفسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي...إلخ، ومائة ألف أخرين في حالة مشابهة يقطنون أحياء الجزائر العاصمة؛ أي أن أكثر من نصف السكان يعيشون في أكواخ مبنية بالطين والقش.[3]

1:بوضرساية،بوعزة.سياسةفرنساالبربريةفي الجزائر1830-1930وانعكاساتهاعلى المغرب العربي.ط1،دار الحكمة للنشر،الجزائر،2010،ص:109

2: محمد العربي، الزبيري.تاريخ الجزائر المعاصر.ص:18

3: محمد العربي،ولد خليفة.الاحتلال الاستيطاني للجزائر.ط3،منشورات ثالة،الأبيار ،2010،ص: 61

وإذا ماتوغلنا داخل المدن الكبرى وجدنا أن أغلب الجزائريين هناك توكل إليهم مختلف الأعمال القذرة والمنحطة التي يرفض أبناء المستعمرين القيام بها، أو التي لايقدرون عليها والمتمثلة في أعمال النظافة والاشتغال داخل البيوت، والحراسة ومسح الأحذية والعمل في الموانئ والطرقات.

وفي ظل هذه الظروف المزرية والقاسية التي تحياها الأهالي الجزائرية من تفشي للبطالة، وتدهور الحياة المعيشية ونقص المواد الغذائية، ظهرت أمراض فتاكة مهددة لحياة الجميع مع غياب وسائل مكافحتها، لأن الخدمات الطبية والمنشأت الصحية حكر على الأوروبيين وعلى هذا الأساس فإن الأطفال الجزائريين يموتون في سن مبكر،لإصابتهم بمرض **كواشيوركور**"**kwashiorkor**"[1]**أووذم المجاعة** "**famine œdème de**" وهي أمراض خطيرة على الأطفال المحرومين من حليب الأم الطبيعي،التي لاتستطيع بدورها أن تمنحه إياه بسبب الفقر والحرمان.

إلى جانب ذلك فقد انتشر مرض السل بصورة مفزعة نتيجة للأسباب السالفة الذكر فيقول الدكتور"**غورويريسونيو**" مقرر ميزانية الصحة العامة:« بلغ متوسط عدد المصابين بالسل الذين قدموا طلبا الدخول إلى المستشفى"**ليفي**"1440مريضا لم يستطيع المستشفى أن يقبل أكثر360 مريضا منهم...ومعنى ذلك أن 1080منهم مريض بالعاصمة بقوا دون عناية طبية» [2].

1: **الكواشيوركور (Kwashiorkor)**:مرض ينشأ بسبب سوء التغذية، و النقص الحاد في البروتين الكامل، يظهر هذا المرض في الدول النامية التي تنعدم فيها الأغذية التي تحتوي على البروتين الكامل، ويصيب غالباً الأطفال الذين تكون أعمارهم ما بين سنة وثلاث سنوات، وذلك بسبب حاجتهم الأساسية إلى البروتين خاصة حليب الأم، فبالنسبة للأطفال يعتبر حليب الأم مكملا غذائياً من البروتين الكامل، وحينما تتوقف الأم عن إرضاع طفلها بسبب حمل جديد فإن احتمال أصابته بهذا المرض تزيد وينتج عن هذا المرض تورم مائي في الوجه والقدمين، فقدان الاهتمام وقلة النشاط و تغيرات بالجلد حيث يصبح الجلد داكن اللون وتظهر به شقوق وتسلخات خاصة في منطقة الأرجل إضافة إلى ضعف الجهاز المناعي وعدم قدرته على مقاومة الأمراض، مما يعرضه لكثير من المضاعفات المرضية مثل: الالتهاب الرئوي، والنزلات المعوية والتي غالبا ما تكون سببا في وفاة الطفل.

2: حسينة،حماميد.المستوطنون الأروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962.ص:89

إذن كانت هذه صورة مختصرة للوضعية الاجتماعية والاقتصادية للجزائر إبان الغزو الفرنسي، والتي يلخصها **فيليب مناي** في تقريره الوصفي للجزائر في منتصف الخمسينات فيقول:« إن الظاهرة الثابتة بين الأهالي هي البؤس، وقد يندهش الفرنسي القادم لتوه من المتروبول، من طوابير المستولين والبيوت القصديرية والأكواخ، ومنظر العديد من الأهالي وهم يهيمون على وجوههم بدون هدف، ويمشون حفاة في الوحل والغبار وقد يعجب ذلك الفرنسي الوافد أكثر عندما يلاحظ أن الأوروبيين المستوطنين لايبدو عليهم أنهم يرون شيئا من ذلك »[1]

إذا كانت هذه الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية لتلك الفترة فكيف هي الحالة الثقافية ؟.

ج/الأوضاع الثقافية:

لم يكن الواقع الثقافي في حالة أفضل من الواقع الاقتصادي والاجتماعي، فالغزو الفكري والثقافي الفرنسي يمثل في واقع الأمر روح الاستعمار و محركه الأول، فعلى الرغم من تعهد السلطات الفرنسية في بنود معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830 مع الداي حسين على حماية مراكز العبادة وحق السكان في ممارسة شعائرهم الدينية كما جاء في البند الخامس:« ...تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة ولن ينال من حرية السكان من جميع الطبقات ولا من ديانتهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم...»[2]

إلا أنهم وبدافع الانتقام والحقد الصليبي، و أثناء دخولهم المدن الجزائرية التي احتلوها راحوا يعيثون فسادا في مشارق الأرض ومغاربها، فشنوا عدة حملات شرسة وشاملة على الثقافة العربية الإسلامية وكل مؤسساتها الدينية والتعليمية، إذ شرعوا في انتهاك مقدسات الأمة عبر تدمير المساجد ومصادرة الأوقاف، وتحويل بعضها إلى كنائس ومراكز إدارية وثكنات عسكرية، ومستوصفات وملاهي وماخورات للجنود ومخازن للمؤن، حتى أن بعضها جعل إسطبلات لربط الخيول.

1:محمد العربي ،ولد خليفة.الاحتلال الاستيطاني للجزائر. ص:60

2: صالح،فركوس.المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين814ق.م-1962م.ص:145

وذلك ماسنؤكده من خلال تصريح **الطاغية روفيقو** لسنة"1832"القائل:« يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إله المسيحين...عجلوا بذلك فمسجد كشاوة هوأجمل مسجد في المدينة»[1].

وهذا ما يجسد مبدأ الحضارة والعدالة التي يتشدق بها رسل الحضارة والتمدين في الجزائر، ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى إرسال بعثات تبشيرية مجهزة بمختلف الوسائل الأدبية والمادية، لتتصير أبناء الجزائريين خاصة اليتامى والمشردين منهم، مستغلين في ذلك أوضاعهم المعيشية والصحية المتردية، وقد تولى تنفيذ هذه السياسة كل من:"**الكاردينال لافيجري**" و"**الجنرال بيجو**"[2]،حيث كان هذا الأخير يجمع الأطفال اليتامى و يأخذهم إلى القس "**بيريمو**" فيسلمهم له قائلا:« حاول يا أبتي أن تجعل منهم مسيحيين وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار...»[3].

وإلى جانب ذلك قامت السلطات الإدارية باضطهاد الأئمة والعلماء، وحفظة القرأن والفقهاء المعارضين لسياستهم الحاقدة من أمثال : **الشيخ "القاضي الحنفي"**، و"**محمد بن محمد العنابي**"، و"**القاضي المالكي عبد العزيز**"،**والمفتي "مصطفى الكبابطي"** .

أما الموظفين الذين يتقاضون أجورهم من الخزينة الفرنسية كرجال الإفتاء وأئمة المساجد ومؤذنوها، لا يتسلمون وظائفهم إلا متى قدموا للاستعمار ما يوجب الولاء له، ولا يبقون بها إلا ما داموا عاملين على مرضاته.

وهذا أحد أكابر موظفي الولاية العامة وهو **ميسيو بريك** يقول في مقال نشر له بعد موته:« قد وصل بنا... إلى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام، إلا من

1: محمد الصالح، الصديق.الجزائر بلد التحدي والصمود.ص:89

2: توماس بيجو"**Thomas Bugeaud**"(1784-1849) :الحاكم العام للإدارة الفرنسية في الجزائر في الفترة مابين 1840-1847،وهو الذي أمضى معاهدة التافنة الشهيرة سنة 1837 مع الأمير عبد القادر،ومنذ دلك الحين نظم حملات الاحتلال الفرنسي على الجزائر نصب ماريشالا سنة 1843.

3:بوضرساية،بوعزة.سياسة فرنسا البربرية في الجزائر1830-1930وانعكاساتهاعلى المغرب العربي.ص:144

بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلا إذا ما أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصا منقطع النظير»[1].

ونتيجة لكل ذلك كان من الطبيعي أن تغرس الأمية جذورها في أوساط الجماهير الجزائرية ،التي كان كل فرد منها قبل مصيبة الاحتلال يحسن القراءة والكتابة.

ولما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ووعاء الثقافة العربية فقد بذلت السلطات الاستعمارية كل ما في وسعها لمحاربتها، حتى غدت غريبة في دارها وبين أهلها،لأنه متى تم القضاء عليها سهل القضاء على الثقافة العربية والشخصية الجزائرية.

وتماشيا مع هذه السياسة قام أهل الحضارة والتمدين بمطاردة اللغة العربية في كل مجالات الحياة، فحرم تعليمها وطورد معلموها بدعوى أنهم يقفون في وجه الغزو الثقافي، كما استبعدت عن الإدارة وأضحت اللغة الفرنسية هي وحدها لغة العمل الرسمي،و تم اعتبارها لغة أجنبية سنة"1938"وأعطيت الأولوية للتعليم الفرنسي ودعمه بشتى الوسائل، إذ شيدت مدارس ذات صبغة تعليمية فرنسية لا لغرض التعليم والتثقيف النزيه كما يدعون، بل لمزاحمة اللغة العربية وزحزحتها عن عرشها، وقد فتحت أبواب هذه المدارس أمام الجزائريين قصد تقريبهم من فرنسا بواسطة تعليمهم لغتها وآدابها وعلومها، حتى يسهل عليها فيما بعد إدماجهم جاعلة من تعليم اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية إجباريا، بينما يكون تعليم اللغة العربية اختياريا في المرحلة الثانوية و العليا كونها لغة أجنبية[2].

إذن فخلاصة القول أن كل ذلك التعسف، وكل تلك المصائب التي نكبت بها الأمة الجزائرية وعانت منها ردحا من الزمن، إضافة إلى سياستي التجهيل والتجويع اللتان تبناهما الاستعمار الفرنسي كشعار له، وقانونا يسير عليه منذ وطأت أقدامه أرض الشهداء قد أيقظت الشعب الجزائري، وأرته الطريق الحق إلى الحرية فكان ميلاد ثورة نوفمبر المجيدة التي ستتبدل بها الأرض غير الأرض، والسماء غير السماء بمشيئة الله وإرادة الشعب، وهذا ما سنتعرف عليه في العنصر الموالي.

---

1 : محمد الصالح ،الصديق.الجزائر بلد التحدي و الصمود.ص:88

2:ينظر:أحمد توفيق،المدني.هذه هي الجزائر.ط1،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،2001،ص:141

2-إندلاع الثورة التحريرية :

كان الوجود الاستعماري منذ احتلال البلاد حملا ثقيلا،وضغطا كبيرا جثم على كاهل الشعب الجزائري بكل ويلاته ومصائبه، وما زاد الأمر تعقيدا إثبات النضال السياسي عقمه في الوصول إلى تحقيق مطامح الجزائريين بمختلف الطرق السلمية[1].

وأمام ذلك الجو المشحون باليأس والممزوج بالأمل، وبعد انتظار مقيت وليل طويل وقف التاريخ مشدوها ليتأمل لحظة البركان العنيف، الذي تفجر فجأة بين أعالي قمم أطلس المعجزات في ساعة الصفر من الفاتح نوفمبر"1954"، والذي لم يلبث أن حجب وراء تدفق شظايا حممه الملتهبة والمتدافعة[2]،كل تلك الانقسامات والتناحرات التي ضربت الحركات السياسية وأبرز رموزها، معلنا بذلك عن نهاية عهد الخضوع والإذلال الذي خيّم على الجزائر مائة وأربعا وعشرين سنة رمادية، ذاق فيها المواطن الجزائري كل أنواع القهر والحرمان[3].

ولم تكن الثورة المظفرة بحاجة إلى دعم معنوي،لأن الجماهير الجزائرية برمتها قد ارتمت بين أحضانها منذ انبلاج فجرها المنير، واضعة كل مالديها من أجل انتصارها مسترخصة حياتها مضحية بأبنائها وفلذات أكبادها، لتكون بذلك أكبر حدث صنعته معجزة الإنسان الجزائري، الذي استطاع بفضل إرادته الصلبة أن يقلب الموازين ويحوّل الحلم الجميل الذي كان يداعب الخيال يوما، إلى حقيقة ملموسة مجسدة على أرضية الواقع.

إذن اندلعت نيران الثورة في ليلة القدر الكبرى، لتشق طريقها الوعر الذي لامناص منه ولا رجعة فيه لمحق الطغاة البغاة واجتثاث الشر من جذوره .

وحاملوا لوائها كانوا مدركين تماما أن الكفاح سيكون طويلا، والقربان سيكون ثمينا على مذبح الحرية الغالية، لأجل ذلك تسلحوا بإيمان قوي وصبر خارق وشجاعة منقطعة النظير، فشنوا حربا خاطفة في عدة أماكن على أعداء الإنسانية وقتلة البرية، بمعدات بسيطة تمثلت في: بنادق الصيد وبعض مخلفات الحرب العالمية الثانية، من الأسلحة التي جمعتها المنظمة

1: صالح، فركوس.المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين814ق.م-1962م.ص:245

2: ينظر: البخاري ،حمانة.فلسفة الثورة الجزائرية.ص:101

3: بلقاسم،بن عبد الله.الأدب الجزائري وملحمة الثورة.ط1،منشورات الحضارة ،الجزائر،2001،ص:43

الخاصة وخبأتها في الجبال استعدادا لليوم الموعود، ولم يكن عدد المجاهدين آنذاك يتجاوز أربعمائة مجاهدا، كان شعارهم "**سلاحنا نفتكه من عدونا**"[1].

واستطاع الثوار إلى حد ما أن يباغتوا الجيش الفرنسي، ويخلقوا الرعب في نفوس المخربين الذين كانوا يعتمدون عليه في توفير الأمن والحماية لهم، كما تمكنوا من الاستيلاء على أسلحتهم وعتادهم.

فهؤلاء لم يكونوا ينتظرون أن تقع مثل تلك الحوادث، فناموا أمنين مطمئنين وأخذوا يتمتعون بإجازتهم وقضاء يوم عيد الأموات بين أهلهم وذويهم، في الحانات والمراقص الخليعة.

وانتهج المجاهدون في ذلك أسلوب حرب العصابات الحديثة، ماعقّد على القوات الفرنسية مهمتها، فلم تستطع في الأيام الأولى لحرب التحرير أن تعرف الجهة التي تتركز فيها الثورة،

ونظرا لاتساع رقعة الجزائر وصعوبة التنقل فيها، فقد قسمت البلاد إلى خمس مناطق للعمليات وهي:الأوراس وشمال قسنطينة، ووهران، والجزائر والقبائل، وألحقت منطقة الصحراء بالأوراس، وتم توزيع المسؤوليات داخل الوطن كالتالي :

المنطقة الأولى: بقيادة **مصطفى بن بو لعيد**[2]،ونائبه **بشير شيهاني**.

المنطقة الثانية: بقيادة **مراد ديدوش**، ونائبه **يوسف زيغود**.

المنطقة الثالثة: بقيادة **كريم بالقاسم**، ونائبه **عمر أو عمران**.

المنطقة الرابعة: بقيادة **رابح بيطاط**، ونائبه **بوجمعة سويداني**.

المنطقة الخامسة: بقيادة **العربي بن مهيدي**، ونائبه **عبد الحميد بوصوف**[3].

1: عمار، بوحوش.التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962.ص:369-380

2: **مصطفى بن بولعيد (1917-1956)**: قائد المنطقة الأولى، والزعيم الأول للثورة التحريرية، ولد بآريس في ولاية باتنة، معظم أمواله كانت تذهب لتمويل التحضير للثورة، انخرط في صفوف حزب الشعب سنة 1945 ، بعد مؤتمر الجزائر قام بتأسيس خلايا للمنظمة العسكرية السرّية، ترأس اجتماع 22 ، وكان انطلاق الثورة ليلة نوفمبر 1954 بأوامر من بن بولعيد، ألقي عليه القبض يوم 12 فيفري 1955 ، في طريقه للبحث عن السلاح بالحدود التونسية الليبية فعذب ثم حكم عليه بالإعدام.

3:صالح،فركوس.المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين814ق.م-1962م.ص:253

وأصدرت جبهة التحرير أمرا بأن يقوم قادة كل منطقة أو ولاية بالعمليات العسكرية والسياسية بناءا على مبادرات محلية، لأنه من الصعب إقامة جهاز مركزي فعال وقادر على تسيير عمليات الكفاح، كما تقرر إعطاء الأولوية للداخل على الخارج، إذ أن القرارات الهامة المتعلقة بالثورة يتخذها قادة الثورة بالداخل، ولتأكيد مصداقية جبهة التحرير قام الثوار بشن حملة واسعة ضد الخونة والمتعاونين مع الاستعمار الفرنسي.

وما كادت تنقضي أيام الدهشة الأولى، حتى فهم العسكريون الفرنسيون أن الثورة قد استقرت في جبال الأوراس الكثيفة، ذات القمم الشاهقة والمغاور والكهوف، فتوجهت القوات الفرنسية بسرعة نحو ذلك الهدف الصعب، وكان المجاهدون قد استعدوا فعلا لحرب طويلة المدى، فجمعوا لها السلاح والعتاد والذخيرة، ثم راحوا يوالون نصب الكمين للجرذان الفرنسيين، وكانوا يعودون من كل عملية بعدد كبير من الأسلحة والذخيرة بعد قتل الكثير من رجال الفرقة الفرنسية وإفنائها عن بكرة أبيها .

وفي المقابل كان بطش الفرنسيين شديدا وعنيفا، فالقوات التي بعثوا بها إلى الجبال أخذت تدمر بواسطة الطائرات القرى والمداشر، والمدفعية الجبلية تفتك بالسكان فتكا ذريعا، الأمر الذي جعل قادة الثورة يقومون بتخفيف العبء على الأوراسين، وذلك بفتح واجهات أخرى منظمة على المستعمر،فيضطر هؤلاء الصعاليك حينئذ إلى مواجهة الأخطار الجديدة.

والمشكل الأساسي الذي كان يؤرّق زعماء الكفاح المسلح في البداية، هو مشكل السلاح والذخيرة والمؤونة، ولهذا قرروا جمع مبلغ مالي قدره مليون وأربعمائة ألف (1.400.000) فرنك فرنسي، ينقله **رابح بيطاط** إلى سويسرا للحصول على أسلحة من **عبد الكريم الفاسي وعبد العزيز عزو**[1].

ولنفس الغرض سافر **مصطفى بن بولعيد** إلى طرابلس للحصول على السلاح لمواصلة الكفاح، غير أن فرنسا تمكنت من إلقاء القبض عليه على الحدود التونسية الليبية وأصدرت عليه حكم السجن المؤبد.

1: عمار، بوحوش.التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962.ص:381

وفي نفس السياق توجه كل من السيد **محمد بوضياف** والسيد **العربي بن مهيدي** إلى المغرب، لإقامة شبكة من الاتصالات وجلب الأسلحة إلى المنطقة الخامسة التي كان تئن تحت وقع ضربات الاستعمار، فحسب شهادة **محمد بوضياف** فإن **العربي بن مهيدي** كان يلح في طلب السلاح ويقول:« السلاح وإلا اختنقنا»[1]، ولحسن الحظ فقد وفت مصر بوعدها وأرسلت أسلحة هامة إلى الثورة الجزائرية عن طريق يخت الملكة دينا، الذي كان يحمل على متنه مجموعة من الطلاب الجزائريين الذين تم تدريبهم بالقاهرة، ومنهم **محمد بوخروبة** الذي أصبح يعرف فيما بعد **بالعقيد هواري بومدين**، واستطاعت الثورة التحريرية بفضل تضافر جهود مناضليها وأبنائها البررة جيشا وشعبا، سحق الطغاة وإرغامهم على الخروج من الأراضي المقدسة مطأطئين رؤوسهم يجرون وراءهم ذيول الخيبة العار.

وخلاصة القول أن الثورة الجزائرية بما تملك من مناضلين أحرار،وصداقات على مستوى كبير استطاعت أن تخترق أسوار العدو وتحرك الضمائر الغافلة، وهذا ما سنعرفه في العنصر الموالي.

3-موقف الأدباء والمثقفين الفرنسيين من الثورة الجزائرية :

تقاس عدالة قضية ما، وقدسية مبادئها وأهدافها بقوة قدرتها الكامنة على اختراق صوت صراخها وآنيين معاناتها لضمائر النخبة المفكرة داخل صفوف العدو نفسه، وذلك حال الثورة الجزائرية مع الأحرار من مفكري العالم، فلم تحظ قضية بالاهتمام والعناية ما حظيت به ثورة نوفمبر المجيدة لدى الأدباء والفلاسفة والمفكرين، بما فيهم المفكرين الفرنسيين.

فالقضية الجزائرية معزوفة فنية تجاوبت مع ألحانها الحزينة كل الضمائر الحرة ،وهي الملحمة التاريخية التي كتبت فصولها بحبر خاص مصنوع من الدم الممزوج بالدموع، وكان التقتيل الجماعي والتعذيب الجهنمي والتعامل البربري أحد مشاهدها التراجيدية المروعة، التي خلقت في نفوس متتبعيها ومشاهديها الهلع والخوف، فجعلتهم يرتعدون لهولها ويستجيبون

1: ينظر:عمار، بوحوش.التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962.ص:380-384

لاستغاثتها، حيث لبّى نداءها عدد كبير من الأدباء والمثقفين الفرنسيين الذين كان لهم الفضل في إحياء الضمير الفرنسي تجاه القضية الجزائرية العادلة.

وما **فرانز فانون**"**Frantz Fanon**"[1] إلا صورة حية عن أولئك المثقفين الذي ألهمت كتاباته ومواقفه كثيرا من حركات التحرر في أرجاء العالم لعقود عديدة .

فالثائر المارتينيكي الجزائري كان من ضمن المحاربين في صفوف فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، وهذا بناء على قناعته المعهودة في أن معركته تبدأ دائما عندما تنتهك كرامة البشر وحريتهم.

وقبل انطلاق الثورة التحريرية بسنة واحدة، قدم **فرانز فانون** إلى مستشفى "**جوان فيل**" بالبليدة لتسلم منصبه الجديد كرئيس لقسم الأمراض العقلية بالجزائر، الذي سيمنحه فيما بعد الخلود كمناضل في صفوف المجاهدين.

فبعد انقضاء عامين من عمر الكفاح المسلح كانت الاستقالة التي قدمها فانون للحاكم العام بمثابة جواز سفر لالتحاقه بموكب الثورة، حيث انظم لحركة التحرير وعمل طبيبا وناطقا وممثلا باسمها في العديد من المحافل الدولية، وكان ينحاز دائما إلى العنف في سبيل المواجهة كونها حتمية ويؤمن بأن الثورة هي البندقية، وأن الاستقلال يؤخذ ولايمنح إذ يقول:« إن الاستعمار ليس آلة مفكرة ،وليس جسما مزودا بعقل، إنما هو عنف هائج لا يمكن أن يخضع إلا لعنف أقوى...»[2] .

1: **Frantz Fanon** طبيب نفساني وعالم اجتماع،ولد عام 1925ب (فوردي فرانس)المارتينيك،درس مراحله الأولى في مسقط رأسه و أتم دراسة الطب في فرنسا،لقد عانى في بلده شعور المذلة و الهوان من وجود الاستعمار الفرنسي،عين طبيبا للأمراض العقلية بمدينة"البليدة"بالجزائر بعد أن أتم دراسته،وهناك عمق شعوره الثوري،وتأكد من أن الاستعمار واحد.وقد كتب ثلاثة أعمال هامة في الوقت نفسه الذي كان يمارس فيه النشاط الثوري: "سود البشرة،بيض الأقنعة"الذي صدر عام1952و"العام الخامس من الثورة الجزائرية"صدر عام1959،ترجم إلى العربية ونشر تحت عنوان"سوسيولوجية ثورة"عام 1970،ومعذبو الأرض"عام 1961. ففي هذه الأعمال يفضح الاستعمار،و يظهر مقاومة الشعوب لإزالته توفي متأثرا بمرض سرطان الدم في واشنطن عام 1961ودفن في الجزائر كما أوصى.

2: ثائر دوري.أشباح فانون. www.al-moharer.net، 9:02، 05-04-2014

لأجل ذلك التزم بالعمل الثوري إلى جانب الشعب الجزائري، ومنحه الدعم النفسي وساهم في إيصال صوت الجزائر الأبية إلى العالمية عبر كتاباته وإصداراته المتواصلة.

فقد شارك في تأسيس جريدة المجاهد الناطق الرسمي باسم جبهة التحرير الوطنية وكان أحد رؤساء تحريرها، كما قام بمعالجة جيش التحرير الوطني في الحدود التونسية الجزائرية، وفي سنة "1959" أصدر كتابه"**العام الخامس للثورة الجزائرية**"،وبعد ذلك اختير عضوا في الوفد الذي تولى تمثيل جبهة التحرير في مؤتمر القمة الإفريقي بغانا ،ما مهّد لاستقراره هناك عام "1960" كسفير للحكومة الجزائرية المؤقتة ،ثم أرسلته جبهة التحرير إلى المستشفى العسكري بواشنطن للعلاج، حيث اكتشف بأنه يعاني من مرض لوكاميا[1]وهناك خطف الموت المناضل الجزائري ولم ينعم بحرية واستقلال الجزائر، لكنه قبل ذلك شاهد الطبعة الأولى من كتابه "**المعذبون في الأرض**".

والمثقف الفرنسي الثاني المؤيد للقضية الوطنية هو **فرانسيس جانسون** " **Francis Jeanson** "[2] الذي رفض أن يعايش مجريات حرب الجزائر كمتفرج عليها من محل إقامته حيث يقول: « كنت أشعر باختناق وأحس بأنني سجين عملي، الذي لا يترك متسعا من الوقت للكتابة ، وسجين الوسط الثقافي الذي أنتمي إليه»[3]

وبناء على ذلك جاءت آراؤه وموافقة مساندة الثورة الجزائرية وأهداف جبهة التحرير المشروعة المتمثلة في الحرية والاستقلال، فأثناء عودته من الجزائر حذر الشعب الفرنسي قائلا:« إن فرنسا استوطنت أرضا بركانية، وهي مستعدة للانفجار في أية لحظة»[4].

1:عمراني،عبد المجيد.النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية1954-1962.ط1،مطبعة دار الشهاب، الجزائر،دت،ص:91

2: فرنسيس جانسون **Francis Jeanson** :فيلسوف فرنسي ولد في 7 يوليو 1922 في بوردو،نال دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة، انضم سنة1943 إلى القوات الفرنسية في شمال إفريقيا ، وقف إلى جانب المقاتلين الجزائريين بعد اندلاع حرب الجزائر حيث أسس جبهة لدعم جبهة التحرير الوطني سميت **بشبكة حملة الحقائب**، تتيح جمع ونقل الأموال إلى ناشطي جبهة التحرير الوطني في فرنسا. توفي في 1أوت2009 عن عمر يناهز 87سنة. من أهم مؤلفاته : "حربنا" ، "الجزائر الخارجة على القانون".

3:ماري بياراولوا.فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل.ط1،دارالقصبةللنشر،الجزائر،2009،ص:114

4: المرجع نفسه.ص:117

وفي سنة "1955" أصدر رفقة زوجته "**كوليت جونسون** كتابة الأول **الجزائر الخارجة عن القانون** "**Algérie hiro la lir**" تناول فيه مبادئ الثورة التحريرية وأهدافها السياسية، كما انتقد بشدة سياسة الاستعمار الفرنسي والفضائح التي ارتكبها في حق الشعب الجزائري.

عمل **فرانسيس جونسون** سائق تاكسي فنقل المناضلين الجزائريين عبر أحياء باريس وكان في غاية التكتم، إذ لم يكن يستفسر عن هويتهم.

إلى جانب ذلك شكل منظمة سرية في نهاية"1957"تحمل اسمه **شبكة جانسون**"**Net work jeanson**"،وكانت المنظمة تتكون من مجموعة مناضلين فرنسيين هم "**كوليت جانسون**"و"**مونيك كوهين**"،و"**إتيان بولو**" وزوجته "**بولا**" و"**هيلين كوبينا**"، ويتمثل دورهم الأساسي في جمع الأموال والألبسة والأغطية والأدوية من العمال المهاجرين الجزائريين والفرنسيين المتعاطفين مع الثورة الجزائرية، وتهريبها إلى الدول الأوروبية المجاورة.

ففي سنة "1958" بلغ حجم المبالغ المالية المحصلة حوالي أربع مائة ألف فرنك فرنسي شهريا تستغل أحيانا في شراء السلاح، كما تقوم هذه الشبكة السرية بتوفير إيواء للمناضلين فوق التراب الفرنسي، وتقديم العون لتهريب الفدائيين من فرنسا وتسليحهم[1].

وعلى الرغم من محاكمة فرانيسس جونسون والحكم عليه غيابيا في سنة "1960"،وتفكيك شبكته فقد واصل نضاله إلى غاية استقلال الجزائر.

ومن بين المفكرين الذين دافعوا كذلك عن القضية الوطنية وساندوها نجد الفيلسوف الكبير "**جان بول سارتر**"الذي قام بعدة فعاليات ثقافية وسياسية مؤيدة للثورة التحريرية، تمثلت في تنظيم التجمعات العامة وتوزيع المنشورات وكتابة اللوائح والعرائض لإدانة الاستعمار الغاشم، وفضح التعذيب الهمجي الممارس ضد الجزائريين الذين لم يكونوا يطالبون سوى بالحرية والاستقلال في كتابه الشهير "**عارنا في الجزائر**".

و**سارتر** بهذه المواقف المشرفة يكون المثقف العالمي الوحيد الذي لم يغفر لبلده وحشيتها وبربريتها القاسية ضد مستعمراتها، إذ كشف في مجلته الشهيرة **الأزمنة الحديثة** " Les

---

1:ينظر:عمراني،عبد المجيد.النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية1954-1962.ص: 83-68

Temps modernes "[1] بعد توقيع اتفاقيات إيفيان بحوالي شهر قائلا: «ينبغي أن نقول بأن الوقت ليس للابتهاج ،منذ سبع سنوات وفرنسا كلب مسعور يجر في ذيله قدرا...لا أحد يجهل اليوم بأننا خربنا بلدا وجوعنا وذبحنا شعبا بائسا لإجباره على الركوع، لقد بقي ذلك الشعب واقفا، ولكن بأي ثمن ؟!»[2].

فحقيقة: أن **جان بول سارتر** بقلمه وعقله كان أكبرمن جيوش فرنسا المدججة، وكان صدى مقالاته وتجمعاته أشد من أجهزة التعذيب المتخصصة.

و من بين أولئك المناضلين الأوفياء لمُثل الحق والعدل نجد كذلك **هنري علاق** "**Henri Alleg**"[3]عضو الحزب الشيوعي في الجزائر، ومدير صحيفة الجزائر الجمهورية وصاحب كتاب **المسألة** "**La question**" الذي عرض فيه أشكال التعذيب التي تعرض لها هو شخصيا، من قبل السلطات الفرنسية وما مدى مقاومته الشجاعة لتلك الأساليب البربرية.[4]

وقد تضامن معه عدد من أدباء فرنسا المرموقين في رسالة احتجاج إلى رئيس الجمهورية الفرنسية رفض كامو التوقيع عليها.

هذا كان بالنسبة للمثقفين اللذين ساندو القضية الجزائرية، غير أن هناك بعض منهم أعلنوا عن حقيقة أفكارهم وفلسفتهم الضالة، المتمثلة في العداوة والعنصرية ضد حرية الشعب

1: Les Temps modernes:مجلة سياسية أدبية وفلسفية،تأسست سنة 1945 من طرف الثنائي Jean Paul Sartre و Simone de Beauvoir.صدرت في البداية لدى منشورات Gallimard من أكتوبر 1954إلى ديسمبر 1948،ثم عن منشورات Julliard من جانفي1949إلى سبتمبر1956،ثم عن دار النشر Les Presses d'aujourd'hui من أكتوبر 1965إلى مارس 1985،قبل أن تعود للصدور من جديد لدى منشورات Gallimardابتداء من أفريل 1985،تألفت اللجنة المديرة الأولى لهذه المجلة من Raymond Aron, Simone de Beauvoir, Michel Leiris, Maurice Merleau-Ponty ,Albert Olivier et Jean paulhan.

2: محمد العربي،ولد خليفة.الاحتلال الاستيطاني للجزائر.ص:128

3: **Henri Alleg**: مؤلف عدد من الكتب في تاريخ الجزائر المعاصر،ناضل في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري،عمل صحفيا ثم مديرا لجريدة"**Alger Républicain**" من سنة 1950إلى سنة 1955،ألقي عليه القبض في 12 جوان من طرف فرقة المظليين العاشرة بقيادة الجنرال ماسو،كان رفيق الدرب لموريس أودان، تعرض للتعذيب خلال اعتقاله الذي دام شهرا كاملا ثم قضى ثلاث سنوات في السجن. من أهم مؤلفاته:**La question**

4: المرجع السابق.ص:125

الجزائري كفيلسوف الوجودية الثاني ووليد الجزائر **ألبير كامو "Albert camus"**[1]، الذي يبدو من خلال أرائه ومواقفه أقرب إلى عصابات المستوطنين، منه إلى مثلث الحق والعدل والحرية.

فقد كان يؤمن بجزائر الاستعمار ولا يتصور مستقبل الجزائر إلا في إطار الحضارة الفرنسية، وعليه قام بمعارضة الحركة الوطنية الجزائرية الداعية إلى التحرر من الهيمنة الفرنسية، والعودة إلى إطار الحضارة العربية الإسلامية بحجة أن تركيبة السكان في الجزائر عديدة، تشمل العرب والأمازيغ والأتراك واليهود والفرنسيين.

والجزائريون في نظره هم المستوطنون، أما سكان الجزائر الأصليون فإنه يسميهم العرب[2].

ومن أخطائه القاتلة أنه سوى بين بطش الجلاد ودفاع الضحية، وانتقد بشدة عمليات جبهة التحرير الوطني، واعتبر الثورة الجزائرية إرهابا من صنع الإمبريالية التي تقودها مصر الناصرية، كما وقف ضد العمليات الفدائية لجبهة التحرير الوطني والتي هي السلاح الوحيد لمحاربة الاستعمار الفرنسي حيث يقول: «في حالة قيام إرهابي برمي قنبلة في سوق بلكور أين تقوم أمي بقضاء حاجياتها، ويترتب عن هذا الرمي وفاة أمي،سأكون مسؤولا في هذه الحالة للدفاع عن العدالة وأكون قد دافعت أيضا عن هذا الإرهاب وإني أحب العدالة كما أحب أيضا أمي... »[3].

وفي سنة "1957" غادر مجلة الإكسبريس بعد أن غيرت خطها السياسي، وأصبحت مؤيدة لاستقلال الجزائر، وقد انتقده في ذلك **"محمد الشريف ساحلي" و"كاتب ياسين" و"ملود فرعون" ،و"مالك حداد"** لعدم إدانته للاستعمار الفرنسي، ولعدم دعمه للقضية الجزائرية

1: **Albert camus:** ولد يوم 7 نوفمبر 1913 بمدينة الذرعان، مؤلف وفيلسوف فرنسي ينتمي إلى عائلة من المستوطنين الفرنسيين–والدته من أصل إسباني–توفي والده خلال الحرب العالمية الأولى،أصيب أثناء دراسته الجامعية في الجزائر بداء السل مما أثر على دراسته،اشتغل خلال سنوات دراسته في بعض المهن اليدوية البسيطة ،انخرط كامو في صفوف الحزب الشيوعي سنة،1934 وتوفي يوم 4 جانفي 1960 من أهم مؤلفاته:الغريب ، الطاعون ،أسطورة سيزيف.

2: عمراني ،عبد المجيد .النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية1954–1962.ص:75

3 :المرجع السابق.ص:76

العادلة علما أنه كان قد أدان الاحتلال النازي لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، وأمن بشرعية عنف المقاومة الفرنسية ضد النازية التي شارك فيها.

ولقد سار صديقه **جول روا** "**Jules Roy**" في نفس طريقه الذي رسمه، وكان يردد لازمته الشهيرة «أفضل أمي على العدالة »[1] وهي عبارة لها دلالتها العنصرية والقمعية التي عبرت دائما عن انحياز كامو ورفاقه إلى فرنسا، على حساب الجزائر التي أنجبتهم ووفرت لهم جوائز كجائزة نوبل التي ليست من مستواهم، ولما زار **جول روا** الجزائر بعد خمسة وثلاثين سنة من استقلالها وقف لينظر إلى مقام الشهيد من وراء نزل الجزائر فأنشأ يقول:" حتى هذا المقام الذي يعتزون به يعود فضل وجوده إلى فرنسا".وفي أخر كتاباته وصف الجزائر المدينة يقول : «الجزائر العاهرة الكبيرة المعشوقة ».[2]

وهكذا كان الحقد يقطر دما ضد الشعب الجزائري من طرف الفرنسيين عسكريين ومثقفين، ومن أمثال هؤلاء الكتاب المتعصبين نجد كذلك **أليكسي دوطوكفيل**[3]،الذي كان عنصريا إلى أبعد الحدود معاديا للعدالة ومناصرا للظلم والظالمين من بني جنسه الفرنسيين، فأثناء زيارته الأولى للجزائر كتب قائلا:« لقد سمعت في فرنسا أناسا أحترمهم يقولون بأنه من السيئ أن يتم حرق المحاصيل الزراعية، وأن يقع تفريغ مخازن القمح...وأنا لاأوافق هؤلاء السادة على مثل هذا الكلام، فأرى أن مثل هذه الأعمال المؤسفة ضرورية لشعب يرغب في شن حرب ضد العرب، بهدف إجبارهم على الرضوخ له، وأن واجب الحرب يسمح لنا بأن نخرب البلد، وأن نفعل ذلك إما بتدمير المحاصيل الزراعية وقت الحصاد والجني،

1: عبد الله،حمادي.أصوات من الأدب الجزائري.ط1،دار البعث قسنطينة،2010،ص:266

2:المرجع نفسه. ص:278

3: **أليكسي دوطوكفيل:** أحد كبار المفكرين الفرنسيين المحدثين،مؤرخ وعالم اجتماع ومنظر سياسي معروف،ولد سنة 1805 وتوفي سنة 1859اشتهر بكتابيه:"عن الديمقراطية في أمريكا" و"النظام القديم و الثورة".قام بزيارته الأولى إلى الجزائر سنة 1841،بصحبة أخيه هيبوليت وصديقه غوستاف دوبومون،عين في السنة الموالية مع صديقه عضوين في لجنة مكلفة بدراسة قضية استعمار الجزائر ،بدء كتاباته عن الجزائر سنة 1837 حيث نشر في السنة نفسها نص بعنوان رسالة عن الجزائر في جريدةLa presse de Seine-et-Oise ،قدم فيه تقييما و شرحا للأوضاع السائدة في الجزائر،وفي سنة 1841نشر نص بعنوان :عمل عن الجزائرTravail sur l'Algerie،لخص فيه نظرته إلى قضية احتلال الجزائر مقترحا الاحتلال التام و الاستيطان وضرورة ربطهما ببعضهما البعض،مستعرضا أسبابهما و كيفيات تحقيقهما.

وإما بالقيام في كل الأوقات بهجومات يكون الهدف الأساسي منها، إلقاء القبض على الرجال والاستيلاء على قطعان الغنم والدواب »[1] .

وهاهو الشاعر و الأديب **فيكتور هيجو** "***Victor Hugo***"[2] يسقط كذلك في مهاوي الضلال و التضليل، ويهلل لجرائم جنرالات فرنسا في الجزائر إذ يقول:« إن الغزو الجديد الذي قمنا به في الجزائر ذو شأن كبير و مفرح، إنها الحضارة التي تكتسح البربرية، إنه الشعب المستنير، الذي يذهب تجاه شعب غارق في الظلام، ويقصد الجزائريين، نحن إغريق العالم و علينا أن نضيئه»[3]

أما الشاعر **لامارتين**"**Alphonse de Lamartine**"[4]الذي يتغنى برومانسية أطفال المدارس فقد ذهب أبعد مما ذهب إليه فيكتور هيجو، حيث دافع عن شرعية كل الوسائل التي تمكن الاحتلال من الاستيطان، وتحقق عظمة فرنسا الإمبراطورية فيقول في ذلك:« إن الجزائر بالنسبة لفرنسا هي بمثابة الهواء الذي لايستطيع أيا كان أن يعيش بدونه،إنّ ماينقص فرنسا هو الهواء..والهواء هناك،أعطوا مزيدا من الهواء لفرنسا...لايجب أن نتخلى عن الأراضي فيما وراء البحار والإبقاء عليها هو في صالح فرنسا.الجزائر هي تركة مجيدة تركتها لنا الحكومة السابقة ،وهي تذكار نبيل قدموه لفرنسا.إن الجزائر كما أعتقد يجب أن تظل جزءا من أرض فرنسا »[5]

1:سعدي، بزيان.جرائم فرنسا في الجزائر.ط1،دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2005،ص:19

2: **فيكتور هيجو**" ***Victor Hugo***" أديب وشاعر فرنسي ،ولد في26 فبراير 1802م في بيزانسون بمنطقة الدانوب شرقي فرنسا، عاش في المنفى خمسة عشر عاماً خلال حكم نابليون الثالث، من عام 1855 حتى عام 1870. أسس ثم أصبح رئيساً فخرياً لجمعية الأدباء والفنانين العالمية عام 1878م. توفي في باريس في 22 مايو 1885م.من أهم مؤلفاته:البؤساء1862،أحدب نوتردام،الرجل الضاحك

3 : المرجع نفسه.ص:21

4:**Alphonse de Lamartin**:كاتب وشاعر وسياسي فرنسي ولد في21 أكتوبر 1790، وتوفي في28فبراير1869.من أهم مؤلفاته: تأملات شعرية 1820،موت سقراط، البحيرة، رحلة إلى الشرق1835، سقوط ملاك1838.

1: عبد الله،حمادي.أصوات من الأدب الجزائري الحديث.ص: 252

إذن هذا هو الوجه الحقيقي للشاعر الرومانسي و العديد من قادة الفكر و السياسة في فرنسا، الذين يستخدمون حقوق الإنسان و مبادئ الحرية والعدالة والمساواة مجرد ديباجة، وينتهكونها متعمدين في ممارساتهم الاستبدادية.

ومن ثمّ نستنتج أن المواقف الأساسية للمفكرين الفرنسيين تجاه القضية الجزائرية العادلة متباينة، فهناك من يؤيد وجود الأقدام السوداء وسياسة الجزائر الفرنسية ويساند أي قرار سياسي أو فكرة تحمي الوجود الفرنسي في الجزائر، وهناك بعض الأحرار الذين لم يؤيدوا الثوار فقط، وإنما شاركوا مشاركة فعلية إلى جانبهم من أجل الحرية و الاستقلال، وسيكون جان بول سارتر في هذه الدراسة مثال حي عن هذه النخبة.

الفصل الأول

جان بـــول سارتـــر والوجوديـــة

أدت الصراعات الإيديولوجية وما واكبها من تحولات عقب الحربين الكونيتين إلى أثر كبير على التفكير البشري، فقد نتج عن كثرة الموت والأوضاع المزرية التي عايشها الإنسان بكل وجدانه خلال تلك الحقبة إلى شعوره بالقلق، والعبثية وللامسؤولية نتيجة لاستلاب حريته منه،ولعل هذا ما دفعه إلى الرغبة في اكتشاف ذاته وعالمه، متسائلا عن عدة حقائق متمثلة في:ماهية الكون وعلة وجوده، ومصيره الذي سيؤول إليه...[1] محاولا تغيير آليات التفكير لديه وبكل شيء، إذ لم تعد المفاهيم السائدة آنذاك كمسلمات كافية لإقناعه بما يجري، ومن هنا أضحت الحاجة إلى إبراز قيمة الوجود وأهميته ومواضيعه، فظهر تيار فلسفي وجودي يتزعمه مجموعة من المفكرين والفلاسفة أبرزهم **جان بول سارتر**، محاولين التأكيد على ذاتية الفرد وحريته،والتساؤل المطروح هنا: من هو **جان بول سارتر**؟ وماذا نعني بالوجودية؟ وماهي أهم الأفكار والخصائص التي تضمنتها؟

1/ جان بول سارتر

أ-حيـــاتـــــه:

جان بول شارل أيماردسارتر Jean-Paul Charles aymard Sartre فيلسوف وأديب فرنسي، ولد في 21سبتمبر1905بباريس من عائلة برجوازية بسيطة، كان والده **جان باتيست** ضابطا في البحرية وأمه **أن ماري شيفتزر** ابنة **شارل شيفتزر**، توفي والده في الهند الصينية و لم يتجاوز عمره سنتين، انتقل مع والدته للعيش في منزل جده حيث أخذ عنه المذهب البروتستانتي و اللغة الألمانية،فقد نور عينه اليمنى وهو في الثالثة من عمره.

1:عبد الرحيم مراشدة.(الحس الوجودي في ديوان موتى يجرون السماء للشاعر موسى حوامدة).مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد التاسع ،جامعة بسكرة،الجزائر،2013،ص:29

اهتم منذ طفولته بالقراءة وكتابة القصص حيث قال:« لقد كتبت قصتي الأولى وأنا في الثامنة من عمري.وكنت كلما رأيت أمامي ورقة بيضاء لم أتمالك عن تسويدها بكل مايترأى لي»[1]، ومن بين القصص التي كتبها قصة "**بائع الموز**" و من" **أجل فراشة**".

التحق سنة 1915 بمدرسة ثانوية هنري الرابع بباريس،وقد كان ناجحا في دراسته إذ قال عنه أساتذته أنه كان ممتازا في جميع الميادين، وفي السنة الموالية تزوجت أمه من الضابط **مانسي** أحد مهندسي البحرية الفرنسية، فانتقل معها للعيش في مدينة لاروشيل، تمكن سنة 1924 من العودة إلى باريس، حيث التحق بمدرسة "النورمال سوبريور" لدراسة الفلسفة وعلم النفس مع **ريمون أرون** "**Raymond Aron**"[2]، رسب في امتحان شهادة الأستاذية"Agrégation"سنة 1928، وفي هذه الفترة التقى برفيقة دربه **سيمون دوبوفوار**[3] ونجحا معا في السنة الموالية، قضى بعد ذلك السنتين الموالیتين في أداء الخدمة العسكرية "بتورز " و"سانت سمفورين"حيث تعلم منها مهنة الأرصاد، إذ التحق بوحدة أرصاد جوية بمقاطعة الألزاس على خط ماجيتو.

عين سنة 1931مدرسا للفلسفة في مدرسة "ليسيه لاوون" ثم "ليسيه الهافر"،وفي سنة 1933 حصل على منحة من المعهد الفرنسي إلى برلين، لدراسة الفلسفة الألمانية الحديثة خاصة فلسفة الفينومينولوجياعند كل من "**هوسرل**" و"**مارثن هايدجر**" **Martin**

1: جان بول، سارتر.أسرى ألتونا.إعداد وتقديم وتحليل الدكتور رحاب عكاوي،ط1،دار الحرف العربي للطباعة والنشر و التوزيع،بيروت-لبنان،2010،ص:5-6

2: **ريمون أرون**: فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، ولد 14آذار سنة 1905في مدينة باريس، وتوفي سنة 1983.من أهم مؤلفاته: مدخل إلى فلسفة التاريخ 1938،أفيون المثقفين 1955، ثمانية عشر درساً في المجتمع الصناعي1963 ،صراع الطبقات 1964.

3: **سيمون-إرنستين، لوسي ماري برتراند دي بوفوار**، تدعى **سيمون دي بوفوار** هي كاتبة ومفكرة فرنسية، وفيلسوفة وجودية، وناشطة سياسية ولدت في9 كانون الثاني 1908 بباريس وتوفيت في14 نيسان 1986 ،كتبت العديد من الروايات والمقالات والسير الذاتية ودراسات حول الفلسفة والسياسة وأيضاً عن القضايا الاجتماعية.من أهم مؤلفاتها: "المدعوة "و"المثقفون" "الجنس الآخر "،*"وداعاً سارتر"*، *"قوة الأشياء"*.

Heidegger"[1]،حيث أقام معهما علاقة قوية إلى جانب **كارل ياسبرز**، وبعد عودته من برلين انضم إلى هيئة التدريس في مدرسة" ليسيه باستور"في نويي بباريس، كما اهتم كذالك بدراسة علم النفس إذ جرب خلال عام 1935 بعض العقاقير المخدّرة مثل الماسكالين، والتي أدت به إلى الدخول في السنة الموالية إلى مصحة عقلية في شمال فرنسا.

وفي سنة 1940وقع أسيرا بيد الألمان، ثم نقل بعد ذلك إلى معسكر X 2 Dالقريب من مدينة تريف وقد اشتغل أثناء هذه الفترة في التأليف والإخراج المسرحي لزملائه الأسرى، وفي سنة 1941م أعتبر من المدنيين فأفرج عنه بعد تسعة أشهر وعاد بعد ذلك إلى وظيفته كمدرس للفلسفة في باريس، حيث كوّن مع الفيلسوف **ميرلوبنتي**[2]خلية مقاومة ضد الاحتلال الألماني أطلق عليها اسم "**الاشتراكية والحرية**" ولكنه عاد فحلها في نفس السنة وأسس بعد ذلك مجلته "الأزمنة الحديثة" سنة 1945م، كما قام أيضا بمحاولة سياسية سنة 1948م فأسس حزب أسماه "**التجمع الديمقراطي الثوري** "رفقة كل من "**جورج ألتمان**" و"**جان روه**" و"**دافيد روزنتال**" و"**دافيد روسيه**"، لكنه عاد فحله فيما بعد وأخذ في فترات لاحقة يتقرب إلى الماركسية و المعسكر الشرقي الشيوعي، حيث شغل منصب نائب رئيس لجنة الصداقة الفرنسية السوفياتية.[3]

احتج سنة 1956م على الغزو السوفياتي للمجر، كما احتج كذلك على عمليات التعذيب التي كانت تمارسها السلطات العسكرية الفرنسية على المواطنين الجزائريين،نال جائزة نوبل

1: **مارتن هايدغر** بالألمانية: "**Martin Heidegger** " فيلسوف ألماني ولد في26 سبتمبر 1889 جنوب ألمانيا–وتوفي في 26 مايو 1976، درس في جامعة فرايبورغ تحت إشراف إدموند هوسرل ، ثم أصبح أستاذاً فيها عام 1928، وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل. من أهم مؤلفاته: الوجود والزمان1927، دروب مُوصَدة 1950، ما الذي يُسَمَّى فكراً1954،المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا1961،في ماهية الحرية الإنسانية 1982،نيتشه1983.

2: **موريس ميرلويونتي** (1908–1961 م) فيلسوف فرنسي تأثر بفينومينولوجيا هوسرل. من أهم مؤلفاته:بنية السلوك 1942 ، وفينومينولوجيا الإدراك 1945

3: جان بول، سارتر.أسرى ألتونا.ص:09–15

للأداب سنة 1946م ولكنه رفضها، وفي سنة 1966م إشترك في محكمة **برتراند راسل**[1] لمحاكمة مجرمي الحرب في الفيتنام، وقد تولى رئاسة هذه المحكمة في أخر السنة بعد وفات **برتراند راسل** سنة 1967م، كما شارك كذلك في مظاهرات طلاب باريس وهاجم أيضا التدخل السوفياتي في تشيكوسلوفاكيا، حيث تولى رئاسة تحرير صحيفة " la couse de peuple" بعد القبض على رئيسها سنة 1970م،ثم تولى كذلك رئاسة تحرير صحيفة لبيراسيون سنة 1973م، ولكنه سرعان ماتخلى عنها لأسباب صحية إذ أصيب في تلك السنة بنوبة قلبية أعقبها نزيف في قرينة العين كاد يفقده بصره تماما، فاحتاج إلى التقليل من أعماله وتزايد اعتماده على رفيقة حياته **سيمون دو بوفوار**، التي كانت تقرأ وتكتب له وتصحبه في كل مكان، توفي مساء يوم الأربعاء 15أفريل 1980م في مستشفى "بروسيه" بباريس عن عمر يناهز 75سنة.[2]

ب-أهم مؤلفـاتـــــه: ترك سارتر ككاتب وفيلسوف وأديب غزير الإنتاج أعمال أدبية ضخمة على شكل روايات ومقالات ومسرحيات، وكتابات فلسفية وسياسية وسير ذاتية غنية بالموضوعات والنصوص الفلسفية، حيث نشر مؤلفه الأول رواية "الغثيان"عام 1938م، ورواية "الجدار"سنة 1939م،كما ألف في الفترة الممتدة مابين 1943م- 1945م كل من مسرحية "الذباب"و "جلسة سرية"، والرواية الثلاثية "دروب الحرية "،وفي سنة 1946 م أصدر مؤلفيه "الوجودية مذهب إنساني" ،و "الدوامة "وهذه الاخيرة سيناريو فيلم ،وفي الفترة الممتدة مابين1947م-1948م نشر كل من:"موتى بلا قبور" ،"تمت اللعبة"، ودراسة نقدية تحت عنوان "ما هو الأدب "، كما كتب أيضا "بودلير دراسة سيكولوجية ونقدية"، ومسرحية "الأيدي

1: Bertrand Russell فيلسوف وعالم منطق ورياضي ومؤرخ وناقد اجتماعي بريطاني، ولد في 18ماي1872،وتوفي في 2 فيفري1970 عن عمر يناهز 97سنة،قاد الثورة البريطانية في أوائل القرن العشرين ،وكان ناشطاً بارزاً في مناهضة الحرب وأحد أنصار التجارة الحرة ومناهضة الإمبريالية،سجن بسبب نشاطه الداعي للسلام خلال الحرب العالمية الأولى،حاز عام 1950 على جائزة نوبل للأدب "تقديراً لكتاباته المتنوعة والمهمة والتي يدافع فيها عن المثل الإنسانية وحرية الفكر. من أهم مؤلفاته: الديمقراطية الاجتماعية الألمانية، مبادئ الرياضيات، عرض نقدي لفسلفة ليبنز، مقال حول أسس الهندسة.

2: المرجع السابق. ص:9-19

القذرة"، وفي عام 1949 م ألف الجزء الثالث من الرواية الثلاثية دروب الحرية "الحزن العميق "، وخلال سنة 1951 م كتب مسرحية "الشيطان والرحمان " كما أصدر في سنة1956 م مسرحية "نيكراسوف " وهي كتاب يتناول سيرة سارتر في طفولته، وفي سنة1961 نشر كتابه "عارنا في الجزائر" وهذه الأعمال كلها كانت جزءا كبيرا من إنتاجه الأدبي.[1]

2/مفهوم الوجودية :

من الصعب وضع تعريف محدد للوجودية، فقد شاع استخدام هذا المصطلح في الأوساط الأدبية والفلسفية والاجتماعية، واتسع حتى كاد يفقد معناه، إذ لم يقتصر استخدامه على نمط فلسفي ذو خصائص معينة، بل تعداه إلى حد القول عن موسيقي أو رسام أوصحفي أنه وجودي[2]، ولعل هذا ما يؤكده قول **جان بول سارتر**:« إن معظم من يستخدمون هذه اللفظة –الوجودية – قد يختلط عليهم الأمر ويستعصى عليهم أن يشرحوا معناها لوطلب إليهم ذلك ،والناس قد صارت المودة عندهم أن يصفوا هذا الرسام، أو ذاك الموسيقي بأنه وجودي. وهناك من يسمي نفسه وجوديا، كهذا الصحفي الذي يوقع في مجلة كلارتية باسم الوجودي، حتى تفلطحت الكلمة اليوم، ولم يعد لها شكل ولا معنى»[3]..

ونتيجة لهذه الاختلافات فقد وردت عدة تعريفات للوجودية، منها ما ورد في كتاب **جان ماكوري**:« بأنها أسلوب أو طريقة في التفلسف قد تؤدي بمن يستخدمها إلى مجموعة من الآراء التي تختلف فيما بينها أشد ما يكون الاختلاف، حول العالم وحياة الإنسان فيه»[4] .

وكذلك تعريف **جان فال** القائل:« الوجودية تلك هي النزعة الفكرية التي سيطرت على الفلسفة الفرنسية، خلال الحرب العالمية الثانية، وما بعدها»[5]

1: مصطفى، غالب.سارتر والوجودية. في سبيل موسوعة فلسفية ،ط1،دار ومكتبة الهلال،بيروت،1980،ص:20-22

2: ينظر:محمد مهران رشوان،محمد محمد مدين.الفلسفة الحديثة والمعاصرة.ط1،دار المسيرة للنشر والطباعة ،عمان،دت،ص:90

3: جان بول، سارتر.الوجودية مذهب إنساني.ترجمة عبد المنعم حنفي،ط1،الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة،دت،ص:10

4: جون، ماكوري.الوجودية.ترجمة امام عبد الفتاح امام،ط1 ،عالم المعرفة،الكويت،1982،ص:17

5: علي عبود، المحمداوي. الفلسفة العربية المعاصرة . ط1، منشورات الاختلاف ، الرباط ،2013،ص: 834

كما تطرق **هملوت كون** إلى تعريفها بقوله:« أرى أنه من الممكن النظر إلى الوجودية على أنها تكوّن جزءا من حركة عامة مميزة للعصر الذي نعيش فيه»[1]

وإلى جانب ذلك نجد تعريفها عند **الدكتور منصور عيد**،في كتابه "كلمات من الحضارة" حيث يقول:« الوجودية من أحدث المذاهب الفلسفية وأكثرها سيادة في الفكر المعاصر، والوجودية بمعناها العام هي إبراز قيمة الوجود الفردي للإنسان، وقد ظهرت نتيجة لحالة القلق التي سيطرت على أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، واتسعت مع الحرب العالمية الثانية وسبب هذا القلق هو الفناء الشامل الذي حصل نتيجة الحرب.»[2]

إذا من خلال التعريفات السابقة يمكننا القول بأن الوجودية حركة أدبية فلسفية ظهرت في القرن العشرين، كتعبير عن صرخة إنسان هذه الحقبة وصورة عن مأساته، تهدف إلى إعادة الاعتبار للإنسان والتعبير عن إشغالاته ومعاناته، في عالم حاول أن يجرده من كل قيمه الذاتية والتأكيد على أنه صاحب حرية وتفكير واختيار، بمقدوره أن يتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته، باختياره الحر دون الارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته.

3/اتجاهات الوجودية :

يرى بعض المفكرين أن الوجودية ليست مذهبا فلسفيا واحدا، بل اتجاه متشعب ومتباين يتضمن اتجاهات فكرية حرة طليقة من كل المعتقدات الموروثة، واتجاهات مقيدة تستند إلى عقيدة[3]، يقول جان بول سارتر في هذا السياق:« هناك فلسفتان للوجودية، وليست فلسفة واحدة، يعتنقها صنفان من الوجوديين وليس صنفا واحد منهم ،فهناك الوجوديون المسيحيون، وعلى رأسهم جابرييل مارسيل،ويسبرز،والاثنان مسيحيان كاثوليكيان مخلصان لكاثوليكيتهما، وهناك الوجوديون الملحدون، وعلى رأسهم هيدجر والوجوديون الفرنسيون، وأنا»[4]

1: رمضان،الصباغ . فلسفة الفن عند سارتر وتأثير الماركسية عليها. ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،1998، ص:6

2: مصطلحات فلسفية-الوجودية،شبكة النبأ المعلوماتية،*www.annabaa.org*، *4-08-2014*،09:10

3: ينظر: نعيم حبيب، جعنيني . الفلسفة وتطبيقاتها التربوية . ط1 ، دار وائل للنشر والتوزيع ، الجامعة الأردنية، 2004،ص:227

4: جان بول، سارتر.الوجودية مذهب إنساني.ص:11

يتضح لنا من خلال قول سارتر أن هناك نوعان من الوجودية:وجودية مسيحية، ووجودية ملحدة ، والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا:ما الفرق بين هاتين الوجوديتين؟

أ-الوجودية المسيحية(المؤمنة): يتزعمها كل من جابرييل مارسيل"**Gabriel Marcel**"[1]، **كارل ياسبرز "Karl Jaspers"**[2] ،**وكير كجارد" "Kierkegaard**".

يؤمن أصحاب هذا الاتجاه بوجود الله وسلطته المطلقة على الكون، وتصرفه في مصائر وصور ووجود عباده، فهم يرون أن الله يخلق الإنسان أولا، ثم يخلق هذا الأخير أعماله وأن مصير الإنسان يتوقف على علاقتة بالله، فيقول كيركجارد في هذا الصدد :« العقيدة مطلقة، والإيمان بها قاطع، وليس من الواجب التنقيب عن أدلة على وجود الله فإنكار وجوده يعتبر إهانة، وإنّ أشد إهانة أن يحاول الإنسان إثبات وجوده تحت سمعه وبصره».[3]

ب-الوجودية الملحدة :يتزعمها كل من "**مارثن هايدج**"رو "**ألبير كامي**" و"**جان بول سارتر**"،حيث يقر أصحاب هذا الاتجاه بوجود وحيد هو الوجود الإنساني، باعتبار أن وجوده سابق على ماهيته، وأنه نشاط مستمر للحرية وحالة متجددة لاتعرف الثبات، وينكرون بذلك وجود إله وطبيعة إنسانية،إذ يصرح **سارتر** في هذا السياق بفكرة مفادها أنه إذا لم يكن الله موجودا، فإن هناك كائنا واحدا على الأقل وجوده سابق على ماهيته،كائن يوجد أولا قبل أن نستطيع تعريفه وتحديده بأي فكرة قبلية ،ثم يحقق ماهيته باستمرار، وهذا المخلوق هو الإنسان.[4]

1: Gabriel Marcel: ولد الكاتب والفيلسوف الفرنسي جابرييل مارسيل في باريس سنة1889، كان لوفاة والدته وهو في الرابعة من عمره بالغ الأثر في نفسه، فقد انشغل مبكّرا بمسائل ما وراء الطبيعة والموت واتجه نحو دراسة الفلسفة وأجيز فيها، عمل أستاذا بمعاهد فندوم وسنس وكوندورسيه في باريس من سنة 1911 إلى سنة 1922، ثم انصرف منذ سنة 1923 إلى الكتابة في الفلسفة والمسرح، وكان ينشر كتاباته في النقد المسرحي في مجلة " Nouvelles Littéraires" منذ سنة 1945.من أهم مؤلفاته: "الوجود والموضوعية"، و"يوميات ميتافيزيقية"، و"الوجود والتملك"، و"من الرفض إلى الابتهال"، و"الإنسان المرتحل" و"الحضور والخلود على الأرض"، و"المسرح الديني"...

2:Karl Jaspers: بروفيسور في الطب النفسي وأحد فلاسفة ألمانيا في القرن العشرين، ولد في23 فبراير 1883، في أولدنبورغ بألمانيا،وتوفي في بازل بسويسرا 26 فبراير 1969. من أهم مؤلّفاته: المقدّمة إلى علم النفس المرضي 1913، الفلسفة 1932، العقل والوجود 1935، الفلسفة الوجوديّة 1938، مسألة إحساس الألمان بالذنب 1946 .

3: نعيم حبيب، جعنيني .الفلسفة وتطبيقاتها التربوية.ص:230.

4: ينظر: جان بول، سارتر.الوجودية مذهب إنساني.ص:13-14

بمعنى أنه ليس هناك طبيعة للإنسان باعتبار أنه لايوجد إله خالق ليتصورها في ذهنه،ومن ثم يعمد إلى خلقه بناءا على تصوره لتلك الطبيعة، يقول سارتر:« وهكذا لايكون للإنسانية شيء اسمه الطبيعة البشرية، لأنه لايوجد الرب الذي تمثل وجود هذه الطبيعة وحققها لكل فرد طبقا للفكرة المسبقة لديه.»[1]

4/مبادئ الوجودية :

يقوم الفكر الوجودي على عدة مبادئ تتمثل في :

1-الإيمان المطلق بالوجود الإنساني واتخاذه منطلق لكل فكرة، واعتباره أصل الأشياء وأن كل ما يتبعه من تعاليم وعقائد وأفكار ونزعات ينبغي أن تصدر على هذا الأصل، إذ لا يوجد شيء خارج عن هذا الوجود ولا سابقا عليه.

2- الإيمان بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود وأنّ وجوده سابقا على ماهيته، وذلك لأنه عند وجوده لا يكون شيء محددا، ولا يملك طبيعة إنسانية بإمكانه أن يستند عليها في أفعاله، ومن ثم فهو من يحدد نفسه ويخلق ماهيته، ولا يكون سوى ما يصنعه بنفسه.

3- الاعتقاد بأن النظريات الفلسفية والأديان التي سادت في القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان،لأنها جبرية تقيد الحرية الإنسانية وذلك كونها تفترض وجود مصدر خالق يتخذ من أفكاره نماذج لما يخلق، وتجعله منطقة الحقائق الأزلية ومصدر لكل حركة وتغيير، إذ بدونه لا يمكن أن يوجد شيء حقيقي.

وبناءا على هذا المفهوم يصبح كل إنسان تحقيقا خاصا لصورته في ذهن الله، وبالتالي يتعين وجوده بناء على ماهيته، ويصبح سلوكه محددا بمقتضى هذه الماهية، وبهذا تسلبه حريته لأنها تحدد الإنسان بناءا على ماهيته وصورته في ذهن الله.[2]

4- العمل على إعادة الاعتبار الكلي للإنسان ومراعاة تفكيره الشخصي وحريته، وذلك من خلال جعل وجوده سابقا على ماهيته، يقول سارتر:« إن ما نريد أن نقوله من وراء هذا الاعتقاد أن للإنسان كرامة أكثر مما للحجر، والطاقة من كرامة فنحن نريد أن نقول الإنسان موجود قبل كل شيء، وهذا يعني أنه قوة تتطلع للمستقبل »[3] .

1: المرجع السابق. ص:14

2: فريدة غيوة،حيرش. من الوجود الزائف إلى الوجود الأصيل.ط1 ،مطبوعات جامعة منتوري ،قسنطينة،دت،ص:30

3: جان بول، سارتر.الوجودية مذهب إنساني.ص:15

5- الإيمان بحرية الإنسان المطلقة.

6- عدم الإيمان بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الإنسان وتضبطه، لأن الله غير موجود وبالتالي لاتوجد قيم تصدر عنه، فالإنسان هو الوحيد الذي يتمتع بالحرية الكاملة في إختيار القيم والأخلاق والمبادئ في إطار حريته، حيث لا يقبل أي توجيه من الخارج كونه سيد نفسه يقول سارتر:« لقد كتب دستويفسكي مرة: إن الله إذا لم يكن موجودا فكل شيئ مباح، وماكتبه دستويفسكي هو النقطة التي تنطلق منها الوجودية، والتي نعتقد فيها أن إنكار وجود الله يعني أن كل شيء يصير فعلا مباحا... فإذا كان الله غير موجود فإن وجود القيم والشرائع التي تبرر تصرفاتنا تسقط بالتبعية وتصير غير موجودة »[1].

إذا الفرد وحده هو مقياس الأشياء والقيم جميعا، فالحياة عملية متصلة من اتخاذ القرارات،وكل قرارهو في نهاية الأمر شيء شخصي، يقول أورست بطل مسرحية الذباب:« ما كان يجب أن تخلقني حرّا..وبمجرد أن خلقتني حرّا خرجت من ملكك..وليس هناك في السماء أو في الأرض من يأمرني.. لن أرجع إلى قانونك، فأنا محكوم علي بأن لا قانون لي عدا قانوني الخاص.ذلك أنني إنسان ياجوبيتر، وعلى كل إنسان أن يبتكر طريقه وحده »[2].

5/خصائص الوجودية :

اهتمت الوجودية بمعالجة المشكلات المرتبطة بالوجود الإنساني المتمثلة في أسبقية الوجود على الماهية، والحرية والاختيار والقلق والعبث والالتزام، باعتبارها تشكل جوهر الوجود الشخصي و تجعلنا نندمج بكياننا كله في العالم، حيث تتيح لنا تعلم أشياء عنه يتعذر علينا تعلمها عن طريق الملاحظة الموضوعية وحدها، والتساؤل الذي يفرض نفسه علينا هنا: كيف تناولت الوجودية كل من هذه المشكلات؟

1: المرجع السابق.ص25

2: زبير، دراقي . محاضرات في الأدب الأجنبي . سلسلة الدروس في اللغات والآداب ،ط1، ديوان المطبوعات الجامعية ، ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر ، دت ،ص: 96.

أ-أسبقية الوجود على الماهية :

تنطلق الوجودية من الوجود الفعلي للإنسان معتبرة أن وجوده سابقا على ماهيته، ويعد **جان بول سارتر** أول من فرّق بين الإنسان وماهيته[1] [2]،حيث يرى أنه ليس هناك ماهية محددة للإنسان سابقة لوجوده، وإنما هو الذي يحددها من خلال وجوده وأفعاله، باعتبار أن الوجود مشروع من أجل تحديد الماهية، فكل فرد يتناول حياته كأنها مشروع يقوم ببنائه منذ طفولته إلى أن يموت، وعلى قدر مهارته في البناء تكون حياته سامية أو متوسطة يقول **سارتر**في ذلك:« ليس الإنسان شيئا أكثر من أن يكون المشروع الذي شرعه وخططه لنفسه، ووجوده نفسه ليس قائما إلا على الحدود والقياسات التي يحققها لنفسه، وهو إذن ليس شيئا أكثر من أعماله. » [3]

فوجود الإنسان في بداية حياته لايزيد عن وجود سائر الأشياء الأخرى كالشجر والحجر...ولكنه يختلف عنها في كونها تبقى موجودات ثابتة لا تزيد عن ذلك، بينما يصوغ هو نفسه بشكل مستمر ويستخلص جوهره،لأنه لم يخلق دفعة واحدة بحيث تكون طبيعته محددة واضحة منذ البداية، لأجل ذلك نجده في انتقال وتجدد دائم لا يعرف الثبات من حالة الإمكان إلى حالة الفعل، ليحدد نفسه ويخلق ماهيته يقول **نيتشه**:« إن الإنسان في محاولة دائمة لا تعرف الاستقرار فهو لايرضى بشيء ولايقف عند حد...لأنه فيه شيء ناقص وهذا النقص أو عدم تحديد الماهية مسبقا هو مصدر حرية الإنسان، وهو الذي يمكنه من تجديد ذاته وخلقها على الدوام» [4]

إذن الإنسان هو صانع نفسه،فلا يمكن التنبؤ مسبقا بماهيته كونه في تغيير دائم ولاثبات، فالفرد مثلا عندما يولد نعرفه كشيء موجود لا أكثر ولايمكن أن نقول عنه أنه سيصبح بطلا أو مجرما أو كاتبا، لأنه الوحيد القادر على أن يخلق ذاته ويكون مايريده، يقول **سارتر**:« عندما نقول إن الوجود سابق على الماهية إننا نعني أن الإنسان يوجد أولا، ثم يتعرف إلى نفسه، ويحتك بالعالم الخارجي، فتكون له صفاته ،ويختار لنفسه أشياء هي التي

1: الماهية هنا يقصد بها مايكون به الشيء شيئا معينا ،وليس شيئا أخر أي الخصائص الجوهرية العامة للشيء

2: نعيم حبيب، جعنيني . الفلسفة وتطبيقاتها التربوية.ص:233

3: مصطفى ،غالب.سارتر والوجودية.ص:08

4: بشار سامي، يشوع.سارتر و فلسفة الوجود الإنساني.*www.zowaa.org*، 20-05-2014،12:10

تحدده، فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة، فذلك لأنه قد بدأ من الصفر.بدأ ولم يكن شيئا.وهو لن يكون شيئا إلا بعد ذلك ،ولن يكون سوى ما قدره لنفسه»[1].

ب-الحرية والاختيار:

تعد الحرية قضية أساسية ومحورية في الفلسفة الوجودية، كونها مرتبطة بالوجود الإنساني وبمصيره إذ يستطيع من خلالها أن يتحرر من كل القيود والعادات البالية، وأن يحقق وجوده كما يقول سارتر:« الحرية ليست سوى الحركة التي يؤسس بها الإنسان دائما نفسه ويحررها »[2]

فالحرية عند الوجوديين ضرورية جدا في حياة البشر ،فالإنسان بالنسبة إليهم ليس إنسانا إلا بحريته، بل إنها مرادفة لوجوده يقول **سارتر** في ذلك :« الحرية ليست صفة مضافة ...بل هي نسيج وجودي»[3] .

بمعنى أن هناك صلة وثيقة بين الوجود والحرية، فالقول بوجود الفرد هو قول بحريته وهذا الارتباط عندهم عائد إلى كون وجود الفرد سابق على ماهيته، وأنه هو من يصنع ذاته ويخلق ماهيته انطلاقا من حريته واختياراته، فهو الوحيد الذي يملك حق اختيار نوع الحياة التي يريد أن يعيشها والشخص الذي يريد أن يكونه، ومن هنا فكل شيئ متصل به أساسه الحرية، لأن ماهيته متوقفة عليها.

والوجوديون بهذا الطرح يحاولون تحطيم فكرة ضرورة مفروضة علينا من الخارج مستمدة من ثبات الأشياء، فالأفراد لم يعودوا خاضعين لألوان من القهر التي تأتي إليهم من الخارج، وإنما على العكس فقد أصبحوا يصنعون ذواتهم بمحض حريتهم واختيارهم.

إذن الحرية والاختيار حقيقة ملازمة للإنسان، بحيث لايستطيع أن يمتنع من أن يكون حرا لأنه محكوم عليه بالحرية، ولأن يتوقف عن الاختيار لأنه حتى في امتناعه عن ذلك هو

1: جان بول، سارتر .الوجودية مذهب إنساني .ص:14

2: إسماعيل المهدوى وآخرون.سارتر مفكرا وإنسانا.ط1 ،دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1967،ص:172

3: محمد مهران رشوان.محمد محمد مدين.الفلسفة الحديثة والمعاصرة.ط1،دار المسيرة للنشر والطباعة و المسيرة،عمان،دت،ص: 108

اختيار، ولعل هذا مايؤكده قول **سارتر**:« للإنسان حرية الفعل،ولكن عليه أن يختار طيلة الوقت فحتى الامتناع صورة من صور الاختيار»[1] .

بمعنى أن وجود الإنسان ليس شيئا من الأشياء الجامدة ،وإنما هوعملية من الاختيارات فلا يستطيع أن يكون الإنسان الشخص الذي يريده، إلا إذا اختار كما أنه في اختياره لنفسه يختار لجميع الناس،لأنه عندما يختار كأنما يقول للناس اختاروا مثلما اخترت فأنا لايمكن أن أختار الشر لنفسي، وما أختاره دائما خيرا لي ومن ثم فهو خير لكل الناس، فالفرد عند تشكيله للصورة التي سيكون عليها أثناء عملية وجوده لاتكون واقعه وحده، وإنما ستكون واقعا لكل الناس المحيطين به، يقول **سارتر**:« إن ما نختاره هو الخير دائما،وليس هناك خير بالنسبة إلينا كأفراد إلا إذا كان كذلك أيضا بالنسبة إلينا كجموع»[2]

أي أن حرية الفرد واختياراته متصلة بحرية الآخرين، فإذا حاول أي إنسان الاعتداء على حرية شخص أخر، فإنه يساهم بذلك في هدم حريته فالفرد لايستطيع أن يكون حرا طالما أن الآخرين ليسوا كذلك .

وخلاصة القول أن الحرية والاختيار هما نتيجة حتمية لمبدأ أسبقية الوجود على الماهية، فكون الإنسان وجد بلا طبيعة محددة يتطلب اختيار الفرد لذاته، وهذا الاختيار بدوره يقتضي الحرية، فلكي يحقق الإنسان وجوده لابد أن يفعل ،وليفعل لابد أن يختار، والموجود الحر فقط هو الذي يختار، وبدون حرية ينعدم الاختيار .

ج-القلق:

مفهوم القلق:استخدمت كلمة قلق"angoisse"في الترجمة الفرنسية لكتاب **هايدجر**"الوجود والزمان " للتعبير عن الانفعال العميق الذي يصيب الإنسان في حياته، وهي ليست بمعنى الخوف، فقد فرّق الوجوديون بين المصطلحين فجعلوا الخوف peur ردة فعل على وجود خطر ما أي؛ أنه خوف من شيء محدود يرجع إلى الاهتمامات اليومية، أما القلق فهو جزء من المعاناة الإنسانية يكشف لنا عن عدم تعلقه بمستقبل مجهول.[3]

1: روان.تجليات الوجودية في أدب جان بول سارتر.الجمعة31يوليو 2009،12:41
www.ladeenyon.net/forum/viewtopic

2: إسماعيل المهدوى وآخرون.سارتر مفكرا وإنسانا.ص:160

3: فريدة غيوة، حيرش. من الوجود الزائف إلى الوجود الأصيل.ص:64-67

فالقلق عند الوجودين مرتبط بالوجود الإنساني، وهو شعور ناتج عن اختيار الفرد للطريقة التي يواجه بها مصيره، كونه ملقى به في هذا العالم بدون ماهية محددة، وعن وعيه بأن تشكيل ماهيته بين يديه، وأنه في اختياره لنفسه إنما يختار لكل الناس،فهو عندما يقوم بفعل ما يأتيه وكأنما الجنس البشري كله قد سلط نظره عليه، وأنه سوف ينظم سلوك أفراده وفق أفعاله، ومن ثم لايستطيع أن يمنع نفسه من القلق والتساؤل:هل من حقي أن أتصرف بهذه الطريقة التي ستكون المثل الذي تحتذيه الإنسانية أم لا[1]؟

وبهذا يصبح الاختيار هنا حرية ومخاطرة مصحوبة بالقلق، لأن الفرد في إختياره يأخذ أحد أوجه الممكنات العديدة وينبذ باقي الممكنات الأخرى، وهذا الإقرار في حد ذاته مخاطرة لأنه يقتضي النجاح كما يحتمل الفشل، فيقول كيركجارد في هذا الصدد:« الاختيار يجر إلى الخطيئة وإلى المخاطرة ،والمخاطرة بطبعها تؤدي إلى القلق »[2].

إذن فالحرية وما يترتب عليها من الشعور بالمسؤولية الكاملة عن كل إختيار، تقوم ببعث قلق دائم في النفوس، يدل على أن كل اختيار له دلالته وأهميته، لأنه يحمل في طياته مسؤوليتنا الشخصية الكاملة يقول سارتر:« إن القلق الذي نعنيه هنا ليس هو القلق الذي يؤدي إلى الاستكانة وللافعل، لكنه القلق البسيط الذي يعرفه كل من تحمل مسؤولية من المسؤوليات في يوم من الأيام، وعلى هذا فالإنسان يظل طوال حياته يعيش في قلق دائم مادام ...حر يختار ويتحمل مسؤولية اختياره »[3].

د-الإلتـــــزام :

من أهم خصائص الوجودية وهو يعني مشاركة الأديب لهموم الناس الاجتماعية والسياسية، ومواقفهم الوطنية والوقوف بحزم لمواجهة مايتطلبه ذلك من صراحة وإخلاص، وتحمل كامل للنتائج المترتبة عن ذلك، فهو ليس مجرد تأييد نظري للفكرة، وإنما هو سعي لتحقيقها، ويعد سارتر أول من بلور هذا المصطلح للدلالة على مسؤولية الأديب والتأكيد

1: ينظر:جان بول، سارتر.الوجودية نزعة إنسانية.ص:22

2: الأسس المنطقية والفكرية للمذهب الوجودي.الديوان الوطني للتكوين عن بعد،www.onefd.edu.dz، 30-05-2014،11:55

3: دومام أشتي.الحرية في الفكر السارتري.*www.kobanikurd.com*، 14:55، 18-06-2014

على أن الكلام الأدبي ليس مجرد ترويح عن النفس أو تعبير جمالي، وإنما هو موقف يتتبع مسؤولية.[1]

فالعمل الأدبي واقع اجتماعي يتخذ فيه الأديب موقفا من عصره، بحيث تكون لكل كلمة صداها ولكل صمت أيضا، فالتزام الكاتب يجب أن يكون نابعا من وجدانه ومن قناعاته دون أن يكون هناك معيار واضح له، يقول **سارتر** في هذا السياق:« الكاتب حتى قبل أن يمسك القلم لابد أن يكون على إقتناع عميقا برسالته، فهو مسؤول عن كل شيء،عن الحروب الخاسرة أو المنتصرة، عن الثورات وعن قمعها، وهو لن يكون إلا شريكا في أعمال الاضطهاد، إذ لم يكن بطبيعته حليفا للمضطهدين، ولكن لالأنه ككاتب فحسب بل لأنه إنسان قبل كل شيء ، ويجب أن تكون الحياة والكتابة شيئا واحد »[2] .

وعليه: فالكاتب عند **سارتر** يكون دائما في موقف من مشكلات عصره، وهو الوحيد الخاضع لمبدأ الالتزام، فقد أعفى الشعراء والفنانين من الالتزام، باعتبار أن الشاعر يثري اللغة بالألفاظ الجديدة والتراكيب اللغوية المبتدعة ،ويعطي للكلمة القدرة على الإيحاء مما يجعل لها معاني ومدلولات متعددة، أما النثر فيستخدم فيه الناثر الكلمات كرموز اصطلاحية شفافة، فالذي نسمعه أو نقرؤه هو مضمون ما يقال أو يكتب، ولاتوجد كلمات تخرج عن ذلك لأن موضوعه الوحيد هو الحرية، فالكتابة بالنسبة له مسؤولية ودعوة موجهة من حرية الكاتب إلى حرية القارئ، وهروب الكاتب من واقعه الاجتماعي وعصره يعد خيانة لقضيته، ويفقد الكتابة قيمتها باعتبار أن الأثر الأدبي مطالب بأن يكون مسؤولا عن العصر بكامله، فالكاتب مطالب بالوقوف إلى جانب المضطهدين والتقريب بين البشر وتغير العالم، وقد حدد سارتر مسؤولية الأديب فيمايلي:

*يجب صنع نظرة إيجابية في الحرية والتحرير.

*يجب أن يتجه الكاتب في كل حالة من الحالات إلى استنكار العنف من وجهة نظر أفراد الطبقات المضطهدة.

1: سحر عبد القادر ،اللبان.الالتزام في الأدب.www.saaid.net ، 12:30، 25-04-2014

2: محمد ،غنيمي هلال.في النقد التطبيقي والمقارن.ط1 ،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2003،ص:71

*يجب أن يرفض الكاتب فورا استعمال أي وسيلة من وسائل العنف في تحقيق نظام من الأنظمة، أو المحافظة عليه.[1]

وبهذا نخلص إلى أن الأديب ابن بيئته والناطق باسمها وكلمته هي سلاحه، فهو المسؤول عن الكشف عن الواقع ومحاولة تغيره، وبذلك تكون مصير المجتمعات متعلقة به، كونه مسؤول عن تحرير الإنسان وعن التطور والاستعمار.

هـ-العبث:

يقصد به انعدام التوافق والانسجام بين حاجة الذهن إلى الترابط المنطقي، وبين انعدام المنطق في تركيب العالم الأمر الذي يكابده الذهن[2]، والعبث تعبير عن لامعقولية الوضع الإنساني، وعزلة الفرد وانفصام الروابط الإنسانية في المجتمع الأوربي خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث أصبحت فكرة اللاجدوة تسيطر على كل شيء، فأضحى كل ما في الوجود عبث لاطائل منه، والموت هي الحقيقة الوحيدة في الحياة، وأما الأفعال والأنشطة التي يقوم بها الإنسان والخبرات التي يكتسبها فما هي في حقيقة الأمر سوى ألعاب تسلية لا تغيّر من شيء، فائدتها الوحيدة هي قتل الملل في انتظار خلاص لا يجيء[3]،و العبث عند الوجودين ينشأ من عدة أسباب من بينها :

1/ الطبيعة الآلية لحياة العديد من الأفراد والتكرار الذي يطبعها، فنمط الحياة والتكرار اليومي اللذان يتكون منهما نسيج الحياة اليومية أصبحا بالنسبة للفرد بلا قيمة وفوق طاقة الاحتمال، وقد صوّر ألبير كامي هذه الطبيعة بدقة في أسطورة سيزيف التي نلحظ فيها أن بعض الأعمال والأفعال تتكرر بصورة تدفع إلى القلق والشعور الدائم بالعبث، مثل تكرار سيزيف لعملية دفع الحجر إلى أعلى الجبل، وظاهرة سقوط الحجر قبل وصوله إلى القمة، فهذا التكرار يؤدي إلى كره الفعل المكرر ويدفع إلى العزوف عن القيام به، وهذا ما يصطلح عليه كامي بالتمرد، حتى لا يقع الإنسان في الآلية التي تقتل الروح وتنمي الشعور بالخيبة.[4]

1:حسام،الخطيب. الالتزام في الأدب. *www.arab-ency.com*، 2014،12:14-05-13

2: جون، كروكشانك.ألبير كامي و أدب التمرد.ترجمة جلال العشري،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،،1986،ص:76

3: عامر صالح.الفلسفة العبثية.الكتاب السوريون،*www.syr-res.com* ، 15:55،2014-06-23

4: ينظر:جون ،كروكشانك.ألبير كامي و أدب التمرد.ص:94

2/ حتمية الانتهاء والموت، فالزمن يجرف الإنسان معه ولا يستطيع التوقف، كما أن الناس لا يملكون القدرة على إيقافه، فالسرعة التي يسير بها تجعلهم يشعرون بعبثية الحياة .

3/ لا معقولية العالم فالعبث ينشأ من العلاقة المتناقضة بين فكر الإنسان والكون، وبين ميل الإنسان للبحث عن الحقائق الكامنة ومعنى الكون والحياة، وبين انعدام المعنى له.

4/ الإحساس بالعزلة والتفرد وسط المجتمع وعدم سهولة التواصل مع الآخرين، وهذا الشعور ينتج عن الإحساس بأننا إنما وجدنا بمحض الصدفة وبلا سبب معقول، يقول سارتر:« إن كل موجود يولد من غير سبب ويعيش بدافع من الضعف ويموت بالمصادفة » [1]

فالعبث إذا ينشأ من العلاقة بين الفرد والعالم، بين الحاجات المنطقية للإنسان وبين انعدام المنطق في الوجود،وقد حدد ألبير كامي ردود الفعل الإنسانية تجاه حقيقة العبثية في الوجود الإنساني والتي تتمثل في :

أ-الانتحار أو الهروب من الوجود: وهو الحل الذي يلجأ به الإنسان إلى إنهاء حياته بعد إدراكه لحقيقة العبث، وفقدانه الإيمان بأن الحياة تستحق أن تعاش نتيجة إخفاقه في الوقوف

على الأسباب التي تكفي لاستمرار الحياة، وقد أطلق كامي على هذه العملية اسم "الانتحار البدني" واعتبرها زيادة في العبثية لاأكثر. [2]

ب-الاحتكام إلى القدرة الإلهية والرجوع إليها كما فعل كيركجارد، ووضع إفترضات غير مثبتة مبنية فقط على الإيمان الأعمى بوجود عالم متعال ،وواقع له معنى أبعد من كل هذا العبث.

وقد رفض كامي هذا الحل واعتبره "انتحارا فلسفيا" وانتقد المحاولات التي يقوم بها المفكرين لكبت الإحساس بالعبث عن طريق نبذ العقل، وتنمية الأشكال الخاصة التي يعدها منافية للعقل، فالإيمان الكامل بالعقل والرفض المطلق له كلاهما يعد دون شك خيانة لوضع الإنسان في العالم وهروبا من مواجهة الواقع، والحل الوحيد عنده هو القبول بالعبثية، فإقرار الفرد بوجود العبث في حياته وتسليمه بأنه لا يمكن لمنهج ولا لعقيدة أن تقضي عليه بدلا من

1: صالح، لمباركية . الآداب الأجنبية القديمة والأوروبية.ط1 ، دار قانة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2007 ، ص 137.

2: ينظر:جون، كروكشانك.ألبير كامي و أدب التمرد.ص:92

حجبه وراء ستار العقلانية أو انعدام العقل، وإدراكه لعبثية الوجود ومعايشته لحظات الصراع والتوتر، وتقبل الحياة كما هي ونبذ الحلول المزعومة التي ليست أكثر من محاولة لتفادي الاصطدام بالمحنة، تجعل الحياة أكثر قابلية لأن تعاش ومخرجا لهذه المعضلة[1].

وبهذا نخلص إلى أن العبث فلسفة تتلخص في أن مجهودات الإنسان لإدراك معنى الكون تنتهي دائما بالفشل ،لأن ذلك المعنى المنشود غير موجود أساسا، فقدر الإنسان هو أن يحمل الألم على عاتقه في عالم لا معنى له ولا وجود لله فيه، كما حمل سيزيف صخرته على ظهره متحديا قدره.

6/الأدب الوجودي:

إن كل أزمة حضارية تجد لها منعكسا في الأدب والفلسفة وباقي أنواع الفنون الأخرى، ولعل الوجودية أصدق مثال على ذلك ،فقد أثارت جدلا لا مثيل له نظرا لما طرحته من مشاكل الإنسان ومعاناته من ويلات الحرب والدمار، فباتت بذلك مذهبا للأديب والمفكر والفنان، وأضحت سمة للعصر.

والوجوديون باعتبارهم شديدي الحرص على الواقعية وعلى التعبير عن ماهية الأفراد وحياتهم الداخلية كما يعيشونها بالفعل بعيدا عن الوقوع في التجريد، مزجوا الفلسفة الوجودية بالأدب باعتباره فضاءا رحبا للتعبير عن هاته المآسي، ونقلها إلى الجماهير بمختلف مستوياتها فأصبحوا بذلك فلاسفة وأدباء في أن واحد وخاصة الفرنسيين مثل **جان بول سارتر** حيث كتب عنه المفكر والناقد "**جاك جوتيشارنود**" يقول :« سارتر ؟إنه ليس كاتبا مسرحيا في الأساس، ولكنه فيلسوف محترف فوق كل شيء....والحق إننا لا نستطيع أن نفصل بين الفيلسوف والأديب في شخصية سارتر لأن الأدب والفلسفة عنده ليسا سوى وجهين لظاهرة واحدة فما فلسفته إلا صياغة تجريدية لمضمون التجارب التي عبر عنها في أدبه وما أدبه إلا تعبيرا فني عن مجموع الأفكار التي صاغ منه فلسفته » [2].

فلقد اتخذ الوجوديون من الرواية والمسرحية والمقالة الصحفية أداة للتعبير، لأنهم وجدوا فيها الوسيلة المثلى لتحليل واقع الإنسان والكشف عما يحدق به من تحديات، ولتجنب

1: المرجع السابق،ص:82

2: إسماعيل المهدوي وآخرون،سارتر مفكرا وإنسانا،ص:312

البحث النظري الفلسفي ،لأن الفكرة الوجودية تعبر عن نفسها من خلال الحوادث السردية أكثر مما تعبر عن نفسها في كتب فلسفية تجريدية يقول كيركجارد:« بدلا من أن يقبل الفكر التجريدي على إدراك الواقع المادي عن طريق تجريده، فإن الفكر الوجودي يحاول أن يدرك المجرد عن طريق تجسيمه».[1]

فالمشكلة الميتافيزيقية للإنسان والأسئلة التي تثيرها لا يكفي أن تعالج من خلال مناهج الفلسفة، بل إن ممارسة الفكر عن طريق الخلق الأدبي قد تكون هي الحل ،لأنه يتيح لنا مجالا رحبا لكي تعاش التجربة الفكرية للإنسان، وبهذا يكون الأدب الوجودي أدب إشكالي يعبر عن الرعب والخوف والقلق، وينبه القارئ بمشكلاته ويهتم بسلوكاته انطلاقا من التسليم

1:الأسس المنطقية والفكرية للمذهب الوجودي.الديوان الوطني للتكوين عن بعد، www.onefd.edu.dz 2014-5-30،11:55

الفصل الثاني

1-الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي:

للعدالة والحرية طريق واحد يشقّه مختلف المناضلين في أنحاء العالم مهما اختلفت جنسياتهم وألوانهم، ولعل القضية الجزائرية أصدق مثال على ذلك، فقد رفع جل أحرار العالم شعارات ساندت الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، وأبرزها تلك التي جاءت من أبناء جلدة المحتل ذاته[1]، الذين اختاروا الانخراط في النضال وجاهدوا بأقلامهم قبل أصواتهم لمساندة الثورة الجزائرية، إيمانا منهم بعدالتها وأحقية الشعب الجزائري في نيل استقلاله، مثل **جان بول سارتر**الذي أبى إلاّ أن يخطّ اسمه بأحرف من ذهب في سماء الثورة التحريرية، حيث وقف ضد سلطات بلاده التي راحت تحصد أرواح الشعب ظلما وعتوا بكل حدة وبلادة، مدافعا عن حرية الجزائريين ومناضلا من أجل كرامتهم وانعتاقهم، رافعا بذلك لواء الالتزام في الفكر والأدب الداعي إلى تحرير الإنسان، ومؤسسا لحركة المثقفين المناهضين للاستعمار، معرضا حياته للخطر في أكثر من مرة،إذ كان مهددا من قبل منظمة الجيش السري.[2]

ففي سنة 1961كتب كتابا عن القضية الجزائرية يقطر عنوانه بمعانيه، وهو "**عارنا في الجزائر**" ينتقد فيه أمته فرنسا والجيش الفرنسي، ويرميهما بالعار عمّا كانا يفعلانه بالشعب الجزائري، فقدّم فيه دراسة علمية واقعية لأسباب الاستعمار الجديد في الجزائر، والطرق والأساليب التي انتهجها لتحقيق غاياته من خلال تحليل آلياته السياسية والاقتصادية، التي تكشف لنا عن مدى قسوته وجبروته .

ولقد حذرنا في هذا الكتاب من خداع الاستعمار الجديد الذي يروج لفكرة مفادها أنّ هناك مستعمرون صالحون وآخرون أشرار، وأنّ هذه الفئة الأخيرة هي المسؤولة عن الفساد المنتشر في المستعمرات، مفندا هذه الفكرة بقوله:« ليس هناك مستعمرون صالحون وآخرون طالحون؟ بل هناك مستعمرون فحسب...»[3] ،فهو يرى أن الاستعمار عمد إلى هذا التقسيم كي يضلنا عن الأسباب الحقيقية للثورة، ويوهمنا بأن المشكلة الجزائرية ليست مشكلة شعب

1:تكريم للمثقفين الفرنسيين الذين ساندوا الثورة الجزائرية.*el-hourria.com*، 12:40، 15-05-2014

2:سليم، بتقة. الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين-سارتر نموذجا.الملتقى الدولي حول الجزئر وثورتها التحريرية،*manifest.univ-ouargla.dz* ، 10:11، 16/04/2014

3: جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر. ط1،الدار القومية للطباعة والنشر،دت،ص:5

انتهكت حرمته وسلبت كرامته وقيدت حريته، بل هي مشكلة اجتماعية واقتصادية، وأنّ حلها يتأتّى من خلال القيام بجملة من الإصلاحات كمضاعفة المستشفيات والمدارس وتوفير فرص العمل،أمّا الحل السياسي فليس في صالح الجزائريين، فهو لن يحل مشكلة جوعهم بل إنّ الذين يدعون إلى التمسك به ويتحدثون عن الانتخابات والاستقلال في زعمهم إنما يسعون إلى إثارة الفتن والشغب، ويقفون في وجه المحاولات الإصلاحية لحل المشكلة الجزائرية.

وهذه المحاولات التضليلية التي انتهجها الاستعمار قد باءت بالفشل، لأن الشعب الجزائري أدرك أن الإصلاحات الحقيقية لايمكن أن تأتي عن طريق فرنسا، مادام هدفها الوحيد هو السيطرة على الجزائر وإخضاعها لسيادتها، بل يجب أن يقوم هو بها بعد حصوله على استقلاله التام، لذلك قام برفضها رغم حاجته الملحّة لها، للتخفيف من معاناته مبديا استعداده التام للتضحية بكل مايملك في سبيل نيل حريته واستقلاله، يقول **سارتر** عن ذلك:« وقد أجاب عنها زعماء جبهة التحرير الوطني بقولهم: إننا سنقاتل ونستميت في القتال، حتى وإن نكن سعداء في ظل الحراب الفرنسية »[1].

والاستعمار في نظره عبارة عن نظام أقيم في منتصف القرن التاسع عشرة نتيجة الرأسمالية التي أدت إلى مضاعفة الإنتاج ،وعجز الأسواق المحلية عن استيعابه،إضافة إلى الحاجة للمواد الأولية ما دفع بالدول الأوربية وفي مقدمتها فرنسا إلى التكالب المسعور على استعمار الدول، بغية الحصول على المواد الأولية وتسويق فائضها الإنتاجي، منتهجة في ذلك أبشع الطرق والوسائل لتحقيق أهدافها، ضاربة بالقيم الإنسانية عرض الحائط مثل ما قامت به في الجزائر، والتي تعد مع الأسف أبرز مثال على قسوة هذا النظام.

ولقد حاول أن يكشف لنا عن الخطط الاستعمارية التي يقوم عليها هذا النظام في الجزائر، والمتمثلة في فكرة تحويل الجزائر إلى مستعمرة فرنسية من خلال فتح أبواب الهجرة للمستوطنين، وإسكانهم بها ومنحهم مساحات شاسعة من الأراضي، إيمانا منهم بأن إقامة النظام الاقتصادي لا يتأتّى إلا بتحقيق السيادة السياسية والقضاء نهائيا على المقاومة، وأنّ الاحتلال العسكري وحده لا يكفي للسيطرة على الجزائر، بل يجب أن يسير جنبا إلى جنب

1: المرجع السابق.ص:4

مع حركة الاستيطان، لأنها تعد بمثابة قوة داعمة للجيش وتساعده على حصر السكان الأصلين في مناطق يسهل فيها الإشراف عليهم ومراقبتهم، وبذلك يتم للمحتلين العسكريين والمدنيين السيطرة على شؤونهم سياسيا واقتصاديا، ويتمكن الاستعمار من تطبيق نظامه الاقتصادي فيقول **جول فيري** في ذلك :« إنها قضية أسواق بالنسبة لبلاد كبلادنا، فهي مضطرة بدافع من طبيعتها وصناعاتها إلى تصدير كميات وفيرة عظيمة .. فإذا وجدت السيادة السياسية وجدت سيادة المنتجات أي السيادة الاقتصادية » .[1]

والبناء الاقتصادي الاستعماري في الجزائر لا يقوم على إقامة صناعات وتشجيع استثمار رؤوس الأموال وخلق منافسة أجنبية، وإنما يسعى إلى جعل السوق الجزائرية احتكارا للصناعة الفرنسية، ومصدرا للتزوّد بالمواد الأولية وقد اتخذ من أجل ذلك عدة إجراءات منها:

أ-إقامة إتحاد جمركي بغية توجيه اقتصاد الجزائر ليكون مكملا لاقتصاد فرنسا، والقضاء على المنافسة الأجنبية لسلعها، بفرض رسوم جمركية عالية على الواردات الأجنبية الواردة إلى الجزائر، وإعفاء الواردات الفرنسية منها.[2]

ب-خلق قدرة شرائية للمستعمر، من خلال تمليك الأراضي لطبقة شبه إقطاعية تقوم بإنتاج السلع الزراعية والتجارية اللازمة للسوق الفرنسية من جانب، وشراء السلع الصناعية الفرنسية من جانب أخر، وقد عمدت السلطات الاحتلالية من أجل ذلك إلى الاستيلاء عنوة بواسطة اللصوصية على معظم الأراضي الفلاحية الخصبة، التي كانت مصدر رزق الشعب الجزائري، كما أصدرت قوانين تقضي بملكية الدولة الفرنسية لكل أرض لا يستطيع مالكها تقديم عقد امتلاكها، بغية تفتيت الملكية الجماعية لتسهيل عملية شراء الأراضي من طرف التجار، إضافة إلى مصادرة جميع أراضي المناطق المقاومة مثل ما حدث عقب ثورة المقراني عام1871 بغية القضاء على المقاومة نهائيا .

وهكذا توالت عمليات اغتصاب الأراضي الفلاحية من السكان الأصليين ومنحها للمعمرين، حيث فقد الشعب الجزائري خلال نصف قرن ثلث أرضه فأصبح يملك سبعة

1: جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر.ص:7

2: عبدالرحمان،رزاقي.تجارة الجزائر الخارجية صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالميتين.ط1،مركب الطباعة برغاية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،دت،ص:11

ملايين هكتار، بينما تملك الدولة الفرنسية 11مليون هكتار، وتحول الجزائري من مالك للأرض إلى مجرد عامل فيها يقول **سارتر**:« وهكذا حول الاستعمار الشعب الجزائري إلى يد عاملة زراعية ضخمة، حتى قال بعضهم عن جزائريي اليوم أنهم يشبهون جزائريي 1830، فهم يفلحون الأرض نفسها ،وإن يكن هناك فارق بينهما فهو أن الجزائريين اليوم أجراء فيها وليسوا ملاكا لها ».[1]

إذن فلقد تمكن المستعمرون نتيجة سياستهم البغيضة تلك أن يشرّدوا الجزائريين ويطردوهم من أرض أبائهم وأجدادهم إلى مناطق قاحلة، واستأثروا بأراضيهم واستثمروها لصالحهم دون مراعاة مصالح الشعب الجزائري، فأخذوا ينتجون فيها ما يعود عليهم بالفائدة كزراعة الكروم التي خصص لها نصف مليون هكتار من أحسن الأراضي لإنتاج أنواع متعددة من الخمور على حساب زراعة القمح، التي أخذت تزحف شيئا فشيئا نحو الجنوب الصحراوي المحروم من الري، أين تدهورت وتراجعت نسبة إنتاجها مع النمو الديموغرافي الشديد للسكان، حيث انخفض معدل استهلاك الفرد الجزائري للحبوب من خمسة قناطير عام 1871 إلى أربعة قناطير عام1901،ومن قنطارين ونصف عام1940إلى قنطارين عام1945 .[2]

وليت الأمر اقتصر على الحبوب فقط، بل حتى الماشية لم تسلم من هذه السياسة الجهنمية فنتيجة لقلة المراعي وندرة المياه في الجنوب، أصيبت هذه الثروة الحيوانية بكارثة كبيرة، حيث انخفض عددها من تسعة ملايين رأس من الماشية عام 1914 إلى أربعة ملايين عام 1950.

وفي ظل كل تلك الأوضاع المزرية التي وقع تحت نيرها الجزائريون، انتشر الفقر وأصبحت معظم العائلات عاجزة عن تحقيق أبسط متطلبات حياتها اليومية من ملبس ومسكن وشراء الحبوب، كما زادت نسبة البطالة نتيجة لميكنة الآلات الزراعية التي حلت محل الفلاحين، والتي أدت بدورها إلى هجرة الشعب بحثا عن لقمة العيش، حيث كانوا يعملون يوما أو بعض يوم في أعمال التنظيم والنظافة، ثم لا يجدون ما يقومون به بعد ذلك.

1: جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر.ص:12

2 : المرجع نفسه.ص:13

وقد بلغ عدد الأجراء المسجلين في القوائم الرسمية على أنهم عملوا أكثر من تسعين يوما في العام 143.000 أجير خلال سنة 1953.[1]

فحقيقة أنّ هذه الإحصائيات التي أوردها **سارتر** هنا إن كانت تدل على شيء فهي تدل على مدى معانات الشعب الجزائري، من تسلط وسلب ونهب وإهانة وتعدّ على الحقوق، وتحكم في المصير تحت حكم هذا المستعمر المستبد، الذي أضحى كما قال صاحب الكتاب بمثابة قرحة في جسم البلاد، تمتص كل شيء تأتي عليه بدءا باحتلال البلاد، ثم سلب الأراضي من ملاكها وطردهم منها إلى أراضي غير صالحة، واستغلالهم كيد عاملة بأجور زهيدة تثير السخرية والاشمئزاز، دون توفير أدنى تأمينات اجتماعية كانت، أو صحية

أو مستودعات للطعام أو مساكن للعمال، فكل ما كانوا يحصلون عليه هو قليل من الخبز والتين من أجل استعادة القوى لاستئناف العمل.

ولم تكتف الإدارة الاستعمارية بهذا القدر، بل سعت إلى ضرب ركيزة المجتمع الجزائري، وطمس معالمه الثقافية من خلال قضاءها على اللغة العربية التي كانت اللغة الرسمية للبلاد، وإحلالها للغة الفرنسية كبديل لها، حيث جندت من أجل تحقيق هذا الغرض وسائل مختلفة أبرزها:إصدار قانون يفضي بكون الفرنسية لغة رسمية للبلاد، والعربية لغة ثانية، وعليه يتم استبعادها من التعليم وتغلق مدارسها الحرة وتعطى الأولوية للتعليم الفرنسي، وكذا إجبارية تلقين البرامج التعليمية بالفرنسية مع فرض تكاليف باهضة على التعليم،مما يصعب على المواطن الجزائري تغطية نفقاته، وبالتالي يضطر إلى تركه تحت طائلة الفقر، ما جعل الأمية تتغلغل في الأوساط الشعبية الجزائرية،وتضرب بجذورها عميقا حتى صارت تقدر بنسبة 80%،إضافة إلى ذلك قامت سلطات الاحتلال بتجريد الإسلام من معظم مؤسساته الدينية والثقافية والاجتماعية، المتمثلة في المساجد والأوقاف ...بالاستيلاء عليها والتصرف في شؤون الدين حسب إرادتها، وذلك بتعيين أئمة المساجد والمؤذنين ورجال الإفتاء، وكافة القائمين على الشعائر الدينية من جانبها.

وهكذا استطاعت أن تستولي على كل شيء يخص الشعب الجزائري تحت شعار

1: جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر.ص:12-15

« الاقتصاد أولا »[1]وتستثمره في خدمة مصالحها الذاتية، فحتى الإصلاحات التي ادعت القيام بها من أجل تحسين الأوضاع المعيشية للشعب الجزائري كانت مجرد ديباجة، فهي في حقيقة الأمر لا تخدم سوى مصالح المعمرين الأوروبيين، والدليل على ذلك السدود وأجهزة الري التي أقامتها، فلم تكن تروي إلا أراضي الوديان والسهول، والأراضي التي اغتصبها الأوربيون، وحتى الطرقات فهي لا تربط إلا المدن الكبيرة المتعلقة بأملاك الأوربيين، وبمناطق الاحتلال العسكرية.[2]

أما باقي الإصلاحات كإعطاء حق التمثيل للمسلمين، والتنازل عن بعض أراضي الدولة مقابل الحصول على زيادة في المحصول، الذي ينص عليه قانون مارتان فقد قوبل بالرفض من قبل المستوطنون لأنه يتعارض مع مصالحهم، فالتمثيل معناه ضمان جميع الحقوق الأساسية للجزائريين وأن يستفيدوا من مؤسسات المعونة والأمن، ويكون لهم في المجلس النيابي مائة نائب يهيؤون لهم السبيل لعيش حياة تعادل مستوى حياة الفرنسيين، وكذالك التنازل عن الأرض للجزائريين يمكن الفلاحين من رفع قدرة إنتاجهم الفلاحية وبالتالي تنقص اليد العاملة، وهذا مالم يقبله المعمرون ودفعهم إلى معارضة الهيئات السياسية في وطنهم، كون هذه الإصلاحات والحقوق المعطاة للجزائريين تتعارض مع مصالحهم القائمة على الاستغلال والاحتكار، و محو الشخصية الجزائرية من أجل فرنسا لأنهم يمثلونها هنا في الجزائر.[3]

وفي ظل كل تلك الأحداث كان لابد للأوضاع المزرية التي عايشها الشعب الجزائري أن تنقلب نقمة على المحتل، و تساهم في ميلاد الوعي الوطني لدى الجزائريين الذين هبوا إلى وضع حد لهذا الاستغلال، والتخلص من السيطرة السياسية لهذا المستعمر الغاشم الذي وصم بلاده بالعار، كما يقول **سارتر** لأنه يناهض جميع القيم التي تدعي فرنسا تبنيها كالحرية والمساواة والأخوة ويسعى إلى خلق العنصرية، ولذلك يدعو الفرنسيين إلى مساعدة

---

1 : جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر.ص:19

2:المرجع نفسه.ص:16-19

3: المرجع نفسه.ص:20-24

الجزائريين بالكفاح إلى جانبهم لتخليصهم وتخليص أنفسهم من وصمة هذا الاستعمار البغيض، وإقامة علاقات جديدة بين فرنسا الحرة والجزائر.[1]

2-شهود من المجندين:

انتهج الاستعمار الفرنسي عدة طرق بهدف الحفاظ على سيطرته الدائمة والمستمرة على الجزائر، حيث جندت السلطات الاستعمارية إلى جانب قوتها العسكرية المجهزة بأحدث التقنيات الحربية مختلف الوسائل الإعلامية والدعائية للعمل على تحطيم المعنويات الفردية لهذا الشعب، وزرع الشك في نفوس الفرنسين والجزائريين على حد سواء، وذالك بإسدال ستار من الكذب والتزييف عن حقيقة مايحدث في هذه المستعمرة،إذ أصبح الإعلام لسان السلطات الكولونيالية، بل منبرا يدافع من خلاله المعمرون عن مصالحهم ووجهات نظرهم، وبوق من أبواق الإدارة الفرنسية تبث من خلاله سمومها وتظليلاتها للرأي العام الداخلي والخارجي، إدراكا منها بمدى خطورة إطلاع الرأي العام على الحقيقة، وأنه ليس في صالحها فمن شأن هذه الأخبار أن تقلب الموازين وتثير ضجة كبيرة في الأوساط الشعبية الفرنسية، فتفلت القضية من بين يديها، ولذلك عمدت إلى هذا الأسلوب الملتوي المنافي لأخلاقيات الصحافة.[2]

كماسعت من خلال وسائلها الإعلامية سواء المكتوبة أو المسموعة، بمختلف مشاربها واتجاهاتها إلى تصوير الجزائر على أنها جنة هادئة ساكنة سكون شعبها، متقبلة للقوانين الفرنسية الجائرة، مفندة لكل ماينقل من أخبار الثورة والتعذيب، واصفة الأعمال الثورية بأنها مجرد عصيان مدني، وتمرد من طرف مجموعة من قطاع طرق أتوا من الخارج، ليس لهم أي صلة بالشعب الجزائري المسالم الذي يريد التعايش مع الأروبيين في بلد واحد مرتبط بالوطن الأم فرنسا،[3]وأن الحكومة الفرنسية جهزت كل القوات للتصدي لأعمال الشغب تلك،

---

1 : جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر.ص:25-27

2: ينظر :المرجع نفسه.ص:29

3: محمد،ختاوي.أعلام الثورة الجزائرية الحرب الأخرى للمقاومة..www.alnoor.se/article.asp *24-10-2008*

وسيعود الهدوء ليخيم من جديد على هذه المناطق المعزولة وتسترجع السلطات العسكرية الأمن والاستقرار وتتحكم في زمام الأمور.

وزيادة على ذلك توسعت تحليلات الصحف الفرنسية ووسائل الإعلام الأخرى إلى إلصاق التهم بالخارج، وذلك قصد جلب التأييد الداخلي والخارجي لمساعدة الحكومة الفرنسية، وهذا التصريح الذي سأورده هنا لرئيس الحكومة مانديس فرانس ماهو إلا مثالا بسيطا عن ذلك الكذب والتعتيم حيث قال:« كان الجو هادئا وكل الشر جاء فجأة من إذاعة القاهرة وبودابست، وهذا الوضع مثير لقلق دائم لنا ومن هذين العالمين يأتي المهرجون والمشاغبون، ومنها أيضا تتسرب الأسلحة التي تجد الحرب الكلامية امتدادها في الحرب الدموية» [1] ، ومأأكثر مثل هذه المغالطات والأكاذيب التي لقيت رواجا كبيرا في الأوساط الشعبية الفرنسية .

ولم تكتف الإدارة الفرنسية بالتمسك بالمؤامرة الخارجية كذريعة للدفاع عن نفسها، بل سعت إلى تكذيب مانشرته بعض من الصحافة الفرنسية النزيهة عن القمع الجهنمي الذي تمارسه السلطات الاستعمارية في حق الشعب الجزائري البريء، قائلة بأن مانشر عن التعذيب بعضه كذب وبعضه الأخر مزيف، وقد أصدرت وزارة الدفاع بيانا قالت فيه: « إننا وبالعكس من ذلك عاقبنا الجنود على بعض ماوقع من التعذيب »[2]،وما لبثت أن عادت وكذبت مانفته في البيان نفسه، حيث قامت بتهديد كل جندي تسوّل له نفسه الإدلاء بشهادة حول التعذيب قائلة:« إن الحكومة قد قررت أن تحاكم من ينشر خبرا من هذا النوع والجندي الذي يدعي أنه شاهد شيئا من ذلك يعتبر كاذبا، وإن لم يكن فهو إذا شريك للمجرم وخائن لواجبه العسكري الذي يحتم عليه أن يخبر بذلك قادته اللذين يقع تحت نظرهم»[3]

فحقيقة إن ماجاء في هذا البيان إن كان يدل على شيء، فهو يدل على مدى معاناة الشعب الجزائري من جراء ممارسات هذا المستعمر الآثم، الذي لم يكتف بتعذيبه وسلبه

1: المرجع السابق

2: محمد الصالح ،الصديق.كيف ننسى وهذه جرائمهم.ص:138

3: المرجع نفسه.ص:138

أرضه وهتك عرضه، بل سعى إلى معاقبة كل من يحاول أن يرفع صوته استنكارا لهذه الأعمال الوحشية.

وهكذا أصبحت جدران الصمت التي فرضها هذا المعتدي الكافر تخنق أنفاس شعب بأسره،ليس له من يدافع عن حقه، شعب يتساءل ويرى بعينيه مدى الأهوال التي تنصب يوميا على كاهله و بلاده هل يأتي يوم ويبلغ فيه لأسماع العالم أنين الأبرياء،وصراخ المعذبين في أيدي الجلادين؟وهل سيكون لتلك الأصوات الرهيبة أثرها في تمزيق حجب الصمت تلك، التي نسجتها أيدي الطغاة حول ضمائر أصحاب النيات الحسنة؟

فعلا إنّ الحق يعلو ولا يعلى عليه، فقد بلغ من فداحة الخطب وامتداد هول الكارثة واتساع مداها، أن أخذت حجب السكوت تتمزق شيئا فشيا، واندفع رجال من الأحرار الفرنسين الذين استيقظت ضمائرهم، وألمهم مارأوه من تنكر حكومتهم وجنودهم لكل تلك المبادئ السامية والتعاليم الأخلاقية، فأصبحوا يرفعون أصواتهم استنكارا لهذه الأعمال البربرية، وصاروا يتبارون في فضحها ويجهرون بالحقيقة أمام العالم بأسره،على الرغم من الستار الكثيف الذي حاول لاكوست وأقطاب الاستعمار أن يسدلوه على الوضع الحقيقي في الجزائر، باستخدام كل أنواع الوعد والوعيد لمحاولة إخماد هذه الحركة الحرة الإنسانية التي لم يغني عنها في ذلك شيئا، بل استمر أحرار الفكر والضمير يقصّون على الدنيا بأكملها أفضع الجرائم الإرهابية التي سمعوها بأذانهم، أو شاهدوها بأعينهم بعد فشلهم في تغير ذلك المنكر العظيم بأيديهم، لذلك عمدوا إلى فضحه والتشهير به بأقلامهم المصلطة وألسنتهم البليغة[1] .

وهاقد صدرت مؤخرا مجموعة من الوثائق بعنوان **"شهود من المجندين"** تبين وتكشف لنا عن الوسائل الحقيقية المستعملة في نشر السلام والحضارة من طرف أسياد التمدين، حيث كان أغلب هؤلاء المجندين ممن شملهم التجنيد الفرنسي، وتشبعوا قبل وصولهم إلى الجزائر بتلك الدعايات التي كانت الحكومة الفرنسية تتفن في ترويجها لأكثر من أربعين مليون فرنسي، غير أنّ هؤلاء مالبثوا إلا أيام حتى فهموا الحقيقة الناصعة وعرفوا أن الكلمات التي

1: محمد الصالح ،الصديق.كيف ننسى وهذه جرائمهم.ص:129

كانت تقال لهم حول مهمتهم السليمة، لم تكن سوى ضرب من ضروب الزيف والبهتان، فأشهر قليلة قضوها فوق الأرض الجزائرية جعلتهم يشهدون أفضع الجرائم وأبشع المذابح وأقذر الأساليب القمعية التنكيلية، التي يستهدف بها وحوش فرنسا إبادة شعب بأكمله.[1] فاستيقظت في ضمائرهم كوامن الهمّة، وعمدوا إلى تسجيل مارأوه وما سمعوه وأطلعوا الرأي العام الفرنسي و العالمي على ذلك، وهاهو ذا جان بول سارتر في كتابه "**عارنا في الجزائر**" يدعوا الفرنسين لقراءة هذه الوثائق، لأن فيها حقائق رهيبة تكشف عن مستوى انحدار السلطات الفرنسية في ممارستها الوحشية والإجرامية إذ يقول:« إني أوصيكم بقراءة هذا الكتاب أوصي جميع الذين لم يقرأونه للآن بالقراءة، كما أتمنى أن يقرأه جميع الفرنسيين ذلك لأننا مرضى نعاني من داء وبيل » [2].

كما ثارضد التأمر الإعلامي وصمت الشعب الفرنسي على العنف الممارس في حق الجزائريين، الذي كانت للسلطات الفرنسية فيه دورا كبيرا، إذ لم تدخر أي وسيلة في سبيل قتل معنويات شعبها وإفساد ضميره بعزله عن حقيقة مايحدث داخل الجزائر، فهي لم تكتف باستخدام التعتيم الإعلامي للتستر عن جرائمها، بل سعت إلى إرسال لجنة برلمانية إلى الجزائر تتكون من ثمانية عشرة عضوا، برئاسة **جول فيري** أحد روّاد الاستعمار الفرنسي لتقصّي الحقائق والنظر في أحوال الأهالي، وهذه اللجنة في حقيقة الأمر لم تكن سوى حيلة دنيئة لضمان صمت الفرنسيين الذين يحاولون أن يستفسروا عن الأوضاع الحقيقية في الجزائر، عن طريق إقناعهم بأنهم يبذلون كل مافي وسعهم من أجل تحقيق الأمن والاستقرار هناك، يقول **سارتر**: « فإذا أتيح لواحد منا أن يسأل ممرضيه فسرعان ماتعمد الحكومة إلى حيلة أخرى وبأسرع مايمكن تؤلف لجنة تنحصر مهمتها في التخفيف عن مسؤوليتنا، وأن تقول لنا: مالذي يشغلكم ويقلق بالكم إنكم تعيشون بعيدا عن الجزائر ولا تعرفون القضية على حقيقتها فأولوا ثقتكم إذن هذه اللجنة التي سنكونها من أشخاص متصفين بالطيبة، مختصين

1: ينظر :المرجع السابق.ص:129

2: جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر.ص:29

في حالات الوسواس وقلق الضمير فابلغوها مايساوركم من قلق وسوف تنقله هي إلى الجزائر أما أنتم فناموا قريري العين مرتاحي الضمير » [1].

ولقد نجحت السلطات الاستعمارية في مهمتها تلك وساهمت في خلق الشك والريبة في نفوس مواطنيها، وجعلهم مذبذبين بين تصديقهم لحقيقة إنحدار بلادهم إلى تلك الهاوية، وتنكرها لكل تلك القيم الإنسانية والأخلاقية التي كانت تتشدق بها و تتباهى باحترامها، وبين تكذيبهم لها، ممّا جعلهم يلتزمون الصمت ويصبحون بذلك شركاء لها في الجرم، وهذا مايؤكده **سارتر** بقوله:« الواقع أننا لسنا سليمي الضمائر،إننا قذرون إن ضمائرنا لم تعكر وهي مع ذالك مبلبلة، وحكامنا يعرفون ذلك حق المعرفة وهم يريدوننا على هذا النحو إنّ كل الذي يريدون أن يتاح لهم بهذه الرعاية والعناية والتحفظ هو اشتراكنا في الجرم تحت ستار الجهل الزائف»[2].

لذلك دعا **سارتر** الفرنسيين إلى تحطيم القيود وكسر حواجز الصمت والتنديد بهذه الأعمال التعسفية، منبها إياهم بأن الاستعمار يقتضي منهم تحمل مسؤوليتهم الجماعية تجاه كل الممارسات الوحشية كونها ترتكب باسمهم، وحذرهم بأنهم سوف يحصدون ثمار تجاهلهم هذا، فسكوتهم لامبرر له باعتبارهم على دراية بكل شيء، بل يعد مشاركة وموافقة على هذه الأعمال الشنيعة إذ يقول:« ومن لايتفوه بشيء عدّ موافقا فالسكوت رضا »[3]

وهم بهذا الصمت المطبق أصبحوا في نظره ذوو ضمائر فاسدة، وهووا إلى عصور البربرية، لذلك يجب عليهم أن يستيقظوا من سباتهم ويرفعوا أصواتهم استنكارا لهذه الأعمال الوحشية، فليس لهم عذر الجهل، وصمتهم هذا يعد تواطأ وسكوتا غير مقبول، وسيوقعهم في نفس المأزق الذي وقع فيه الألمان، فهم أيضا كانوا على علم بالجرائم المرتكبة بحق الفرنسيين، ومع ذلك لم يحركوا ساكنا يقول عن ذلك:« إننا صامتون الآن،ولأننا سنوضع في مأزق خطير،في موضع سبق لنا أن تصدينا له نحن بأنفسنا بطالعنا السيئ .إنها براءة مصطنعة ،وهروب من الحقيقة ، ومجاملة مرذولة، وعزلة رهيبة وصمت مطبق ومشاركة في

1: المرجع السابق.ص:32

2: جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر.ص:32

3:المرجع نفسه.ص:36

الجرم مرفوضة ومقبولة وهذا ماأسميناه عام 1948بالمسؤولية الجماعية إذ ماكان ينبغي للشعب في تلك الفترة أن يجهل وجود معسكرات التعذيب، وكنا نقول: كفى هذيانا. لقد كانوا يعرفون كل شيء! وكنا على صواب فقد كانوا فعلا يعرفون كل شيء واليوم فقط نستطيع أن ندرك ذلك، فإننا أيضا نعرف كل شيء»[1]

كما دعا إلى وضع حد لذلك الواقع المؤلم، وتلك الفضائح والمآسي التي تكررت على مسامعهم وأذانهم، بالتضامن مع الجزائريين المقهورين والوقوف معهم ضد ممارسي القمع، وإنهاء هذا الكابوس الذي يعيشه الشعب الفرنسي والجزائري معا، وتخليص أنفسهم من وصمة العار التي لحقت بهم من جّراء الممارسات الإجرامية، التي هتك بها الجيش الفرنسي شرف أمته حيث يقول:« إنه لم يفتنا الأوان بعد لإحباط عمل هؤلاء الذين دأبوا على هتك شرفنا القومي وتلويث سمعتنا ولايزال من الممكن تحطيم الدائرة الجهنمية التي أغلقت علينا من مسؤليين غير مبالين،هذه السذاجة الخبيثة،هذا الجهل الذي هو المعرفة، فلننظر إلى الحقيقة،فهي التي ستمكن كلامنا من أن يعمل علانية على وقف الجرائم المقترفة».[2]

1: جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر. ص: 38

2:المرجع نفسه.ص:39

3-الجلادون:

لم يتناول **سارتر** في "عارنا في الجزائر " الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أسفرت عنها السياسة الاستعمارية فحسب، وإنما اهتم وكتب أيضا عن التعذيب الذي تعرض له الشعب الجزائري، فحرب الإبادة التي شنتها القوات الكولونيالية لم تقتصر على أعمال التقتيل والمجازر الجماعية، بل وسعتها إلى أبعد من ذلك فاستعانت بوسائل أكثر وحشية وهمجية، وطبقت أساليب قمعية خاصة بعد تولي "**غي مولي**" رئاسة الحكومة سنة 1946، وإقراره بقانون السلطات المطلقة الذي استغله الجيش في ارتكاب جرائم بربرية ضد الإنسانية[1] .

إضافة إلى ذلك قام **سارتر** بانتقاد السلوكات والتصرفات المخزية للجلاديين الفرنسيين، وندد بوحشية السلطات العسكرية وظلم الاحتلال، مخاطبا الذاكرة الجماعية الفرنسية، مذكرا إياهم بالأهوال والمعانات التي ذاقوها أثناء الحرب العالمية الثانية من قبل الجيش النازي، عندما كان مصير الحرب مجهولا لديهم، وكانوا يقولون أنه من المستحيل أن يكونوا سببا في إلحاق الضرر والمعانات بالآخرين، غير أن فرنسا لا تؤمن بالمستحيل، فما كادت تمر 15سنة على حربها حتى أخذت تمارس التعذيب كوسيلة شبه رسمية في الجزائر، على علم ومرأى من الجميع، بل جعلته نظاما وفنا له قواعده ورجاله وآلاته ومدارسه الخاصة، إذ كان يتم تعليمه في ثكنة جان دارك بسكيكدة على شكل تربصات تكوينية ينشّطها خبراء مختصين، كما أقامت له مؤسسات خاصة مجهزة بأحدث الوسائل والتقنيات، فكل ثكنة عسكرية لها جناحها الخاص يقول **أليولات** عن ذلك: « إن التعذيب أصبح من الطرق الرسمية التي تستعمل للبحث عن مايسمى بالاستنطاق للحصول على المعلومات، قصد التقليل من العمليات الفدائية وضبط الحركة النضالية، فقد قامت فرنسا بتأسيس

1: حسين رئيس باريس،الثورة الجزائرية في نظر المثقفين الفرنسين جان بول سارتر نموذجا. الملتقى الدولي حول الجزئر وثورتها التحريرية، *manifest.univ-ouargla.dz*، 10:11،2014/ 16/04

مؤسسات للتعذيب أكثر من تأسيسها المدارس والمستشفيات، إذ يوجد في كل ثكنة جناح خاص للتعذيب، مجهز بأحدث الوسائل»[1].

وهكذا غدت فرنسا الضحية التي كانت ترزح تحت الاضطهاد الألماني جلادا، يضطهد ويذل شعبا كُبّلت أيديه و أرجله باسم الحضارة والتمدين، فمدة خمسة عشرة سنة كانت كافية لهذا التحول في نظر **سارتر**، الذي يصف هذه الأعمال الإجرامية بالحيوانية وللإنسانية، نظرا لما تقوم به من تشويه لجسم الضحية وروحها والنزول بها إلى مرتبة الحيوان، تحت أساليب قمعية لا يتصورها العقل ولا يمكن للخيال أن يدركها، فأشقى الناس وأتعسهم على الإطلاق من يقع في أيدي هؤلاء الوحوش الضارية، وأسعدهم من مات دون أن يضطر إلى لقائهم، لأن الذين يمارسون التعذيب هم أشباه بني أدم يحملون نفوسا فظة، وعقولا متحجرة لا يقيمون وزنا للرحمة ولا يعرفون قيمة للإنسانية، فهدفهم هو الوصول إلى مأربهم الدنيئة السافلة باستخدام التعذيب الجهنمي والقمع الوحشي، لذلك هؤلاء لا ينتمون إلى جنس البشر، بل هم حيوانات في نظر سارتر فيقول عنهم:« إن الذين استشهدوا من غير أن يضطروا إلى أن يسألوا أنفسهم هذا التساؤل،هم السعداء ..« أتراني أعترف إذاهم نزعوا أظفاري ؟ » ...وإذا لم يكن هناك أي حاجز في أي مكان يحول بين الأمم أو الإنسانية جميعها، وبين أن نتردى في الحيوانية فلماذا إذا نبذل هذا الجهد لنحافظ على إنسانيتنا ؟إن الحيوانية هي حقيقتنا».[2]

وقد برر سارتر سكوته في البداية عن هذه الأعمال الوحشية بأنه ليس رضا بما يحدث، وإنما كان انتظارا لوجود الدليل الذي حصل عليه بصدور كتاب المسألة، فعلى الرغم من الستار الكثيف الذي حاول أقطاب الاستعمار الفرنسي أن يسدلوه على الوضع الحقيقي في الجزائر، إلا أن عددا كبيرا من أحرار فرنسا ألمتهم معاناة الشعب الجزائري، التي رأوا أنها لا تتفق والديمقراطية الفرنسية، فقرروا أن يمزقوا الستار عن ذلك الخزي ويكشفوا عن الواقع المؤلم الذي يعيش فيه الشعب الجزائري، دون أن يحول بينهم وبين ذلك خوف، مثل

---

1 :عمراني،عبد المجيد .النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية1954-1962.ط1، مطبعة دار الشهاب ،الجزائر،دت،ص:139

2 : جان بول سارتر.عارنا في الجزائر،ص41

"**هنري علاق**" الذي أصدر كتاب المسألة يبلّغ فيها الرأي العام الفرنسي والعالمي عن طرق التعذيب المفروضة على الشعب الجزائري منذ نوفمبر، من خلال حديثه عن أنواع الاضطهاد التي اكتوى بها من قبل وحوش الجيش الفرنسي، لإجباره على الاعتراف كالكي بالنار واستخدام الكهرباء والعطش، فقد وصف قصة تعذيبه الجهنمي بكل دقة في كتابه هذا فيقول عن تعذيبه بالكهرباء:«أخذ يلوح أمام ناظري بالملاقط التي كانت تتصل بها الأسلاك الكهربائية، وكانت ملاقط صغيرة مسننة، ووضع أحد هذه الملاقط في طرفي أذني اليمنى، وأخر في أصبع اليد اليمنى ....وقفزت دفعة واحدة في أربطتي وجأرت بأعلى صوتي ....فلقد أطلق دفعة كهربائية على جسمي ....وانطلقت بالقرب من أذني شرارة طويلة، وشعرت بأن قلبي يكاد يقفز من صدري.وأخذت أتلوّى وأنا أصيح من الألم، وتصلبت كل أعضائي حتى جرحت، وبينما كانت الاهتزازات التي يوجهها بيده تتوالى دون توقف...وعلى هذا النغم كان يوجه إليّ سؤال واحد وهو يُلوّك مقاطعه....قل لنا أين كنت تأوي ؟ »[1]

إذن فهذا الوصف الذي قدمه لنا "**هنري علاق**" إنما يدل على فظاعة ما لاقاه الشعب الجزائري من أنواع الظلم والقهر والتنكيل خلال تلك الحقبة، فصاحب كتاب المسألة لم يكن الوحيد الذي تلقى التعذيب أنذاك.

وقد كان **لهنري علاق** من خلال كتابه **"La question"** دور كبير في إيقاظ الضمائر الغافية، وإدراك **سارتر** لحقيقة مايحدث في الجزائر من أعمال وحشية إجرامية، والتنديد بها حيث اعترف بشجاعة **علاق** وببطولته النادرة، وما يتمتع به من روح معنوية عالية، التي كانت صخرة صلبة تتفتت عليها كل المحاولات من أجل صده عن صمته، مفتخرا به كونه فرنسيا داعيا إلى قراءة كتابه، لأن فيه سرد لحقائق يشمئز منها الإنسان من ألوان التعذيب التي كانت تمارس بشكل جنوني ولامتناهي على السجين نفسه، من القهر والتمثيل به جسدا ونفسا، واصفا هؤلاء الجلادين بأنهم جنس من السادين، بل إنهم عينة غريبة ليس لها صفات الإنسان المتزن، يتقنون عملهم في التلذذ والتفنن في إذاقة الأخر شر العذاب، بغية التباهي بعظمتهم وقوتهم، وإقناع الضحية بأنها ليست من عالمهم ولا من جنسهم، وذلك بتعريضها لأفضع وأبشع صور التعذيب التي تقلل من قيمتها، وتنحط بها إلى درجة تتساوى فيها مع

---

1 :محمد الصالح الصديق،كيف ننسى وهذه جرائمهم،ط1،دار هومةللطباعة والنشر،2009،ص:154

البهيمة. كتجريدها من ثيابها وربطها بشدة، والهزإ بجسدها ورميها بأقذع اللعنات يقول سارتر عن ذلك :« فما هؤلاء الجلادون أولا ؟ أهم ساد يون!أم هم ملائكة أطهار قد تملّكهم الغضب ؟أم هم سادة الحروب ذو الأهواء الراعدة ؟فإذا صدقناهم وأمنا بما قالوا فهم خليط من كل أولئك ؟.....إنهم يودّون أن يقنعوا أنفسهم ويقنعوا الضحية بجبروتهم وقدرتهم على الظلم.....فالمهم عندهم أن يشعروا السجين بأنه ليس من جنسهم » [1].

ولقد دعا **سارتر** هذه الضحية التي تتعرض للاستنطاق، إلى التحلي بالشجاعة ومقاومة تلك الأساليب التي لا تختلف في وحشيتها عن أعمال القسطابو أثناء الحرب العالمية الثانية، معتبرا التعذيب مرض يسود العصر كله حيث لم ينحصر في الجزائر، بل استطاع أن يعبر البحر إلى قلب العاصمة الفرنسية مهد الديمقراطية ورمز حقوق الإنسان والمواطنة، وأصبح يطبق على الشعب الجزائري المتواجد هناك بنفس الطريقة التي يمارس بها داخل الجزائر.

كما انتقد محاولة إيجاد الجلادين للمبررات الشرعية التي تجير لهم ممارسة أفعالهم الإجرامية، المتمثلة في محاولة الحصول على المعلومات اللازمة لإيقاف زحف المقاومة التحريرية نحو الاستقلال، والمحافظة على حياة الناس ووقف مايسمى بالأعمال الإرهابية، واعتبره نفاق لا يحتاج إلى دليل، لأن **علاق** كان مثل **مورس أودان** ليس إرهابيا والدليل على ذلك أنه اتهم بالمساس بالأمن التومي وإحياء جمعية منحلة، وعلى الرغم من ذلك عومل معاملة لاتمت للإنسانية بصلة،فالتعذيب لم يكن خاصا بمن ينتمي إلى جيش جبهة التحرير، بل يكفي أن يكون الشخص جزائريا لينال حقه من التعذيب، فكونهم جزائريين يعد جريمة لا تغتفر في عرف هؤلاء الجلادين، الذين أصبح التعذيب بالنسبة لهم عملا روتينيا. وهدف هؤلاء الوحوش الضارية هو جعل الضحية تستسلم للاستجواب والتقليل من شأنها.

يقول سارتر:« إنكم تعرفون ما يذكر أحيانا من صور التبرير حتى لايدان الجلادون هم يرددون أنه لابد من تعذيب بعض الناس، لكي يدلوا باعترافاتهم التي قد تحفظ مئات الأرواح، وهذا نفاق لا يعوزه دليل، فإن علاق لم يكن إرهابيا، وكذلك أودين فهو معتقل

---

1 : جان بول، سارتر.عارنا في الجزائر.ص:46

بحجة أنه يعمل على الإخلال بأمن الدولة وإعادة تشكيل جمعية منحلة، أفمن أجل المحافظة على الأرواح البشرية أحرقوا ثدييه، وشعر عضوه التناسلي ؟...ثم إنهم يعتقلون كل من يصادفهم فكل مسلم تعرض للاستجواب»[1] .

والتعذيب في نظره لا يعود إلا بنتائج سيئة وهذا ما حدث في الجزائر، فانتفاضة الشعب كانت ردة فعل طبيعة لهذه الأعمال المخزية الشنيعة، ونتيجة لهذا الاستعمار البغيض بكل أشكاله البشعة وأهدافه الدنيئة،و وسائل تعامله مع المواطنين الجزائريين، الذي تحول فيها إلى وحش خال من الضمير الشريف، ينكل ويقتل ويهدم ويبيح كل المحرمات بما فيها الدين والأخلاق[2] ،فقد ولّد كل هذا الاضطهاد رغبة لدى الإنسان الجزائري في التحرر والسعي لإنقاذ وجوده، من بربرية هذا المعتدي الآثم، الواقع في وحل السادية والعنصرية البغيضة، التي كانت من نتائجها عدد لايحصى من الضحايا.

وخلاصة القول أن موقف جان بول سارتر من التعذيب في الجزائر كان إيجابيا حاول أن يبين فيه فضاعة التعذيب وقهر ما يسمى بحقوق الإنسان، ووقف ضده واعتبره وصمة عار في فرنسا واصفا مرتكبيه بالحيوانية، كما انتقد الاستعمار في شكليه الحديث والقديم، وثار ضد المحاولات الرامية إلى تنويم الناس سواء كان ذلك في الأرض المحتلة أو في بلاده الأصلية، داعيا المعمرين كمنظومة قائمة على امتصاص دماء الآخرين إلى إيقاف هذه الأعمال الإجرامية ،التي تنفر منها الإنسانية، وانتشال فرنسا من وصمة العار التي لحقت بها ، وإنقاذ الجزائريين من هذا العمل الوحشي بفتح باب المفاوضات واعتماد السلام كحل .

1: جان بول سارتر.عارنا في الجزائر،ص:52

2 :المرجع نفسه.ص:59

الخاتمة

خاتـمـة

بذل الاستعمار الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه الدنيئة أرض الجزائر الأبية كل مافي وسعه من أجل الدمار والخراب حتى انتشر داؤه وعم بلاؤه، ولكن الشعب الجزائري بقي مع كل ذالك يقاوم ويجاهد يتحدى الموت ويعلن للورى أن قوته من الله، ومن كان الله ناصره فإنه يغلب ولا يغلب.

وبهذه الأعمال البربرية استطاعت السلطات الاستعمارية أن تكتب لفرنسا في الجزائر إبان الثورة التحريرية تاريخا مادته الخزي والعار، وسطوره الوحشية والهمجية وهتك الأعراض ودوس الحرمات، كما أن التعذيب بصوره الجهنمية سيظل وصمة عار على جبين فرنسا، لن تمحوه تعاقب السنين على شاطئ الحياة المريرة .

ومن أجل إنقاذ شرف فرنسا ووضع حد لكل تلك الانتهاكات والتجاوزات، ثارت جماعة من أحرار فرنسا من ذوي الضمائر الحية ضد قوانين بلدهم الجائرة، وأعلنوا التمرد عليها فنالهم مانال الجزائريين.

وهذه الدراسة التي قمت بها هي محاولة لإلقاء الضوء على أفكار بعض المثقفين والأدباء الذين رفضوا سياسة فرنسا التدميرية، واهتموا بالحركات التحررية وخاصة الثورة الجزائرية.

ويعد **سارتر** بأفكاره الوجودية أبرز هؤلاء المثقفين الذين انتقدوا بشدة سياسة الاستعمار الفرنسي ودافعوا عن حقوق وحرية الشعب، حيث اهتم بالوجود الإنساني وبواقعه العيني المليئ بالمتناقضات، وأبرز قيمة الفرد ودوره في بناء مستقبله كفرد واع حر ومسؤول، إذ اعتبر الحرية أساسا لكل القيم وملازمة لوجود الفرد.

كما أن فلسفته كانت فلسفة مواقف، فهي بمثابة صرخة مدوية في وجه الظروف القاسية والأيادي التي صنعتها.

وموقف **جان بول سارتر** من القضية الجزائرية كان موقفا إيجابيا فقد دعا إلى الاعتراف بتاريخ وأصالة الشعب الجزائري، وأيد قضيته وعارض الاستعمار الفرنسي وأراد أن يكون للجزائريين حق التمتع بالحرية، وهذا الموقف أمر له دلالته ومغزاه ويستحق منا التقدير والتنويه ولو معنويا على أقل تقدير.

ودراستي هذه لم تكن الوحيدة في هذا المجال فقد تناول الباحثون أراء المثقفين الفرنسين حول الثورة الجزائرية، كما أن هذه المحاولة ما هي إلا قطرة تحتاج إلى من يدعمها في بحوث أخرى .

وفي الأخير تم تقديم هذا البحث بعون الله تعالى وفضله، وأتمنى أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه ومن لا يخطئ لا يصيب و الله أعلم بالصواب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمـــة المراجـــع

أولا:المراجع العربية:

1- أحمد توفيق، المدني.هذه هي الجزائر.مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،2001

2- بلقاسم، بن عبد الله. الأدب الجزائري وملحمة الثورة. ط1، منشورات الحضارة،الجزائر، 2001

3- بوضرساية ،بوعزة.سياسة فرنسا البربرية في الجزائر1830-1930وانعكاساتهاعلى المغرب العربي.ط1،دار الحكمة للنشر،الجزائر،2010

4- حسينة ،حماميد.المستوطنون الأروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962.ط1،منشورات الحبر،الجزائر،2007

5- رمضان،الصباغ . فلسفة الفن عند سارتر وتأثير الماركسية عليها . ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،1998

6- زبير،دراقي . محاضرات في الأدب الأجنبي . سلسلة الدروس في اللغات والآداب ،ط1، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر ، دت

7-سعدي،بزيان.جرائم فرنسا في الجزائر.ط1 ،دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر، 2005

8- صالح ،فركوس.المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين814ق.م-1962م. ط1، دار العلوم للنشر و التوزيع،2002

9- صالح، لمباركية.الآداب الأجنبية القديمة والأوروبية. ط1، دار قانة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2007

10- طلاس،مصطفى.وبسام،لعسيلي.الثورة الجزائرية.ط1،دار الشورى،بيروت-لبنان،1982

11- عبد الله،حمادي.أصوات من الأدب الجزائري.ط1،دار البعث قسنطينة،2010

12- عبد الرحمان،رزاقي. تجارة الجزائر الخارجية صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالميتين. ط1،مركب الطباعة برغاية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،دت

13- علي عبود، المحمداوي . الفلسفة العربية المعاصرة . ط1 ، ج2 ، منشورات الاختلاف، دار الأمان،الرباط ، 2013

14- عمار، بوحوش.التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962.ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت،1997

15- عمراني، عبد المجيد .النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية1954-1962. ط1،مطبعة دار الشهاب ،الجزائر،دت

16- فريدة غيوة،حيرش. من الوجود الزائف إلى الوجود الأصيل.ط1،مطبوعات جامعة منتوري ،قسنطينة،دت

17- البخاري، حمانة.فلسفة الثورة الجزائرية.ط1،دار الغرب للنشر والتوزيع،الجزائر،2010

18- محمد، غنيمي هلال.في النقد التطبيقي والمقارن.ط1،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،2003

19- محمد مهران رشوان.محمد محمد مدين.الفلسفة الحديثة والمعاصرة.ط1،دار المسيرة للنشر والطباعة و المسيرة،عمان،دت

20- محمد الصالح ،الصديق.الجزائر بلد التحدي والصمود.ط1،موفم للنشر،الجزائر،2007

21- محمد الصالح،الصديق.كيف ننسى وهذه جرائمهم.ط1، دار هومةللطباعة والنشر، 2009

22- محمد العربي، الزبيري.تاريخ الجزائر المعاصر.دط،ج1،سحب الطباعة الشعبية للجيش،2007

23- محمد العربي، ولد خليفة.الاحتلال الاستيطاني للجزائر.ط3،منشورات ثالة،الأبيار، 2010

24-مصطفى،غالب.سارتر والوجودية. في سبيل موسوعة فلسفية ،ط1،دار ومكتبة الهلال،بيروت،1980

25- نعيم حبيب،جعنيني . الفلسفة وتطبيقاتها التربوية . ط1، دار وائل للنشر والتوزيع ، الجامعة الأردنية ،2004

26--يوسف،الأطرش.المنظور الروائي عند محمد ديب. ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،2004

27- إسماعيل المهدوى وآخرون.سارتر مفكرا وإنسانا.ط1،دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1967

ثانيا:المراجع المترجمة:

28- جان بول،سارتر.أسرى ألتونا.إعداد وتقديم وتحليل الدكتور رحاب عكاوي،ط1،دار الحرف العربي للطباعة والنشر و التوزيع،بيروت-لبنان،2010

29- جان بول،سارتر.الوجودية مذهب إنساني.ترجمة عبد المنعم حنفي،ط1،الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة،دت

30- جان بول سارتر.عارنا في الجزائر.ط1،الدار القومية للطباعة والنشر،دت

31- جون، كروكشانك.ألبير كامي و أدب التمرد.ترجمة جلال العشري،ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب،،1986

32- جون ،ماكوري.الوجودية.ترجمة امام عبد الفتاح امام،ط1،عالم المعرفة،الكويت،1982

33-ماري بياراولوا.فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل.ط1،دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009

ثالثا:المجلات

34- عبد الرحيم مراشدة.(الحس الوجودي في ديوان موتى يجرون السماء للشاعر موسى حوامدة).مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد التاسع ،جامعة بسكرة،الجزائر،2013

رابعا:المواقع الالكترونية

35- بشار سامي، يشوع.سارتر و فلسفة الوجود الإنساني. *www.zowaa.org* 20-05-2014،12:10

36- ثائر دوري.أشباح فانون.www.al-moharer.net 9:02 ، 2014-04-05،

37- حسام،الخطيب. الالتزام في الأدب.*www.arab-ency.com* 14:12،2014-05-13،

38- حسين رئيس باريس،الثورة الجزائرية في نظر المثقفين الفرنسين جان بول سارتر نموذجا. **الملتقى الدولي حول الجزئر وثورتها التحريرية**، *manifest.univ-ouargla.dz* **16/04/10:11،2014**

39- دومام أشتي.الحرية في الفكر السارتري.*www.kobanikurd.com* ،14:55 ، 18-06-2014

40- سحر عبد القادر ،اللبان.الالتزام في الأدب.

www.saaid.net/daeyat/saharlabba 12:30، 25-04-2014

41- سليم، بتقة. **الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين-سارتر نموذجا.الملتقى الدولي حول الجزئر وثورتها التحريرية**،manifest.univ-ouargla.dz ، **16/04/10:11،2014**

42- روان.تجليات الوجودية في أدب جان بول سارتر.الجمعة31يوليو 2009، *www.ladeenyon.net/forum/viewtopic*12:41

43- عامر صالح.الفلسفة العبثية.الكتاب السوريون،*www.syr-res.com* 23-06-2014،15:55،

44- مصطلحات فلسفية-الوجودية،شبكة النبأ المعلوماتية، *www.annabaa.org* 09:10، *4-08-2014* .

45- الأسس المنطقية والفكرية للمذهب الوجودي.الديوان الوطني للتكوين عن بعدwww.onefd.edu.dz 11:55،30-5-2014 ،

46- تكريم للمثقفين الفرنسيين الذين ساندوا الثورة الجزائرية.*el-hourria.com* ، 12:40، 15-05-2004،

47- محمد،ختاوي.أعلام الثورة الجزائرية الحرب الأخرى للمقاومة.
24-10-2008 www.alnoor.se/article.asp

فهرس

المحتويات

فهـــرس الموضـــوعـــات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	أ
مـدخـــل:القضيــة الجزائريـــة والأدبـــاء و المثقفيـــن الفرنسيين	
1-الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل اندلاع الثورة التحريرية	
أ-الأوضاع السياسية	05
ب/الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية	11
ج/الأوضاع الثقافية	15
2/اندلاع الثورة التحريرية	18
3/موقف الأدباء والمثقفين الفرنسيين من الثورة التحريرية	21
الفصـل الأول:جـان بـول ســارتـر و المـوجـوديـــة	
1/جان بول سارتر	31
2/مفهوم الوجودية	35
3/اتجاهات الوجودية	36
4/مبادئ الوجودية	38
5/خصائص الوجودية	39
أ-أسبقية الوجود على الماهية	40
ب-الحرية والاختيار	41
ج-القلق	42
د-الالتزام	43
هـ-العبث	45
6/الأدب الوجودي	48
الفصـل الثـاني:دراسة تحليلية لكتاب عارنا في الجزائر	
1/الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي	50
2/شهود من المجدين	56
3/الجلادون	62
خاتمة	68
قائمة المصادر و المراجع	71
فهرس الموضوعات	

ملخص الدراسة

لكل شعب مفخرته التي يتباهى بها بين الأمم، فإذا كان للمصريين القدامى أهرامهم، وللبابليين حدائقهم المعلقة، وللأمريكيين تمثال حريتهم، فلنا نحن الجزائريون ثورتنا التحريرية التي تغنى بها العالم،حيث ألهمت ببطولاتها المبدعين على اختلاف مجالاتهم من أدباء ومثقفين وشعراء ورسامين فأنجزوا بذلك أضخم الابدعات الفنية .

واستطاعت الثورة الجزائرية بعدالة قضيتها وقدسية مبادئها وأهدافها أن تخترق ضمائر النخبة المفكرة، وتسيل الكثير من الحبر وتؤثر في العديد من الأدباء والمثقفين بما فيهم الفرنسيين الذين تباينت أراؤهم ومواقفهم تجاهها بين مؤيد ومؤمن بعدالتها، وداعم لها في كفاحها من أجل كرامتها، ورافض للممارسات الاستعمارية ضد الشعب الجزائري الأعزل مثل "**فرانز فانون**" الذي التزم بالعمل الثوري إلى جانب الشعب الجزائري، ومنحه الدعم النفسي وساهم في إيصال صوته إلى العالم عبر كتاباته الملهمة"المعذبون في الأرض"،إضافة إلى معالجته للجيش الوطني في الحدود التونسية.

و"**فرانسيس جانسون**" الذي أصدر كتابه "الجزائر الخارجة عن القانون " ينتقد فيه سياسة الاستعمار الفرنسي ويدافع عن حقوق وحرية الجزائريين ويساندهم في كفاحهم، حيث قام سنة 1956 بتأسيس شبكة سرية تقوم بتدعيم النشاطات المختلفة لمناضلي جبهة التحرير الوطني كتوفير الإيواء للمناضلين فوق التراب الفرنسي، وتقديم العون لتهريب الفدائيين ونقلهم من فرنسا إلى الخارج وتسليحهم .

إضافة إلى "**جان بول سارتر**" الذي أبى هو الأخر إلا أن يخط اسمه بأحرف من ذهب في سماء الثورة التحريرية، حيث وقف ضد سلطات بلاده مدافعا عن حرية الجزائريين ومناضلا من أجل كرامتهم، معرضا بذلك حياته لعدة محاولات اغتيال من قبل منظمة الجيش السري، فقد كتب سنة1956في مجلته الأزمنة الحديثة"les temps moderne"مقالا بعنوان "الاستعمار عبارة عن نظام" "la colonialisme est un système" حاثا فيه الفرنسيين على الاعتراف بالجزائر كدولة ذات سيادة، ومشجعا وداعيا إلى العمل على المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني الممثل الشرعي للشعب الجزائري،ومنددا بالأعمال الوحشية الممارسة في حقهم حيث قال:« لاأظن أنه يوجد في هذا المجال مهام شريفة، أو مهام دونية، أونشاطات مخصصة للمثقفين غير جديرة بهم...ولهذا إذا طلب جانسون مني حمل حقائب

أو إيواء مناضلين جزائريين بحيث أقوم بهذه المهمة بغير أن أعرض حياتهم للخطر فسأقوم بذلك بدون تردد»

إضافة إلى ذلك قام بتنظيم عدة تجمعات عامة وتوزيع منشورات وكتابة لوائح لإدانة الاستعمار، وفضح التعذيب الممارس ضد الجزائريين الذين لم يكونوا يطالبون سوى بالحرية والاستقلال، كما كتب سنة 1961 كتابا بعنوان "عارنا في الجزائر" شرّح فيه صورة الاستعمار البغيض في أشكاله البشعة وأهدافه الدنيئة ووسائل تعامله المخزية، وانتقد محاولته الرامية إلى تنويم الناس سواء كان ذلك في الأرض المحتلة أوفي بلاده الأصلية،مؤمنا بحق الشعب الجزائري في المقاومة ضد هذه المنظومة القائمة على امتصاص دماء الآخرين.

ولكن مع الأسف هذا الموقف لم يتبناه جميع الأدباء والمثقفين الفرنسيين، فهذه الممارسات الاستعمارية الوحشية قد وجدت من يبرر شرعيتها مثل "**ألبير كامو**" الذي كانت أفكار تتفق مع السياسة الاستعمارية المتمثلة في العداوة والعنصرية ضد حرية الشعب، حيث عارض الحركة الوطنية الداعية إلى التحرر من الهيمنة الفرنسية واعتبرها إرهابا، ورفض الاعتراف بتاريخ وشرعية وأصالة الشعب الجزائري، وكذالك "**جول روا**" الذي انحاز هو الأخر إلى بلاده على العدالة الاجتماعية مرددا لازمة **كامو** الشهيرة « أفضل أمي على العدالة»

إلى جانب ذلك نجد "**أليكسي دوطوكفيل**" الذي كان عنصريا في موقفه معاديا للعدالة الإنسانية، ومناصرا للظلم و الظالمين من بني جنسه الفرنسيين إذ يقول:« أرى أن مثل هذه الأعمال المؤسفة ضرورية لشعب يرغب في شن حرب ضد العرب بهدف إجبارهم على الرضوخ له وأن واجب الحرب يسمح لنا بأن نخرب البلد ».

وموقف"**فيكتور هيجو**"لايختلف كثيرا عن سابقيه، فقد راح هو الأخر يهلل لجرائم جنرالات فرنسا فيقول عن ذلك: « إن الغزو الجديد الذي قمنا به في الجزائر ذو شأن كبير ومفرح إنها الحضارة التي تكسح البربرية، إنه الشعب المستنير الذي يذهب تجاه شعب غارق في الظلام »

إذن فعلى الرغم من كل ذلك التعسف والإجحاف بحق الجزائريين إلا أنهم استطاعوا بفضل إرادتهم الصلبة،وجلادة صبرهم،وقوة سواعد رجالهم، أن يقلبوا الموازين ويحوّلوا الحلم الجميل الذي كان يداعب الخيال يوما، إلى حقيقة ملموسة مجسدة على أرضية الواقع، ويتمكنوا من سحق الطغاة وإرغامهم على الخروج من أرضهم المقدسة، مطأطئين رؤوسهم يجرون وراءهم ذيول الخيبة العار.